الكوكب الشرقي

المغربي

[redacted]

المغربي ، عبد المجيد .

رسالة الكوكب الشرقي .

JUL 23 '70
X222
2. 4. 89
78-1906

[redacted]
MISA

6 AUG 1970

J. LIB.
15 APR 1981

A

113
MISKA

الكوكب الشرقي

سفر مبتكر الموضوع من مشتملاته رد نظرية لابلاس ورفقائه
من القوسموغونيين في تكوين النظام الشمسي وغيره مع
اشتماله على مباحث فلكية هامة مؤيدة بالطرق الفنية
وعلى خارطة منطقة البروج ودوران الارض وغير
ذلك مما انفرد به هذا المؤلف

بقلم

عبد المجيد المغربي

من طرابلس الشام

39048

حقوق الطبع محفوظة

مطبعة اللواء * طرابلس الشام سنة ١٣٤٩ هـ

UNIVERSITÄTS BIBLIOTHEK BERLIN

A

تقدمة

مؤلفه الى الاستاذ الفضيل نابغة الطبابة وفن الجراحة مفخرة الشرق النبيل

السيد عبد اللطيف البيسار الشهير

نبيل اثيل المجد لله درّه * بمطلعه الصافي زها الكوكب الشرقي

113
M19kA
C.1

رسالة

الكوكب الشرقي

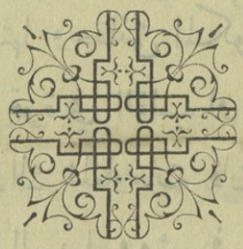

بقلم

عبد المجيد المغربي

من طرابلس الشام

حقوق الطبع محفوظة

مطبعة اللواء * طرابلس الشام سنة ١٣٤٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولا خالق سواه وما الاكوان بعلويها وسفليها الا صحف منشرة وشواهد مقررة بل سلسلة براهين وآيات بينات متتابعة الحلقات ناطقة بملئها صراحة بالوهيته وأحديته وانه فاطر السماوات والارض رب العالمين وما عقل الانسان بما اوتيه من العلم في جانب قدرته الباهرة وعظمتها وحقائق المكونات ودقائقها الا كنقطة من بحر او دقيقة من دهر وما العقل الا قوة في القلب او الدماغ على رأيين للمتكلمين والحكماء بها الانسان مستعد لادراك المعلومات فان توفرت الشرائط والاسباب اهتدى بها الى الصواب والا ضل السبيل ومشى في ظلام فهو معرض دائماً للاغلاط والاخطاء مهما انتفخت باوداجه الفلسفة وامتد بسعة مدركاته الى شأو بعيد لا عاصم له الا المرشد الالهي من نبي او كتاب سماوي والدليل القطعي الذي يشق له كل حجاب عن الحقيقة

الا ترى كم ذا لبثت الفلسفة والتاريخ الطبيعي باقطابهما ومهرة حكمائهما احقابا عديدة على اعتقاد ان الماء والهواء من العناصر البسيطة غير مركبين حتى صحت هذا الاعتقاد التحليلات الكيماوية ومن الجائز أن تظهر الاكتشافات المستقبلة ان ما نعتبره اليوم عنصراً هو مركب لا بسيط ومن الجائز ان ما نعلل به بعض الحادثات الطبيعية من الاسباب سيظهر لنا سبب غيره ضلالاه نرجع به الى تغييرات فنية غير ما نعرفه اليوم .

فدع بعض المسائل الرياضية الثابتة ببراهين قطعية فترى ان النظريات الفنية غير

المثبتة بالوسائط الكيماوية واشباهها جلها ظنيات قامت على اسس ظنية

والظنيات واخصها الغيبية التي اخذت بطريق النظير والقياس كمثل مبدأ الخليقة والتكوين وما قيل في القسموغونية Cosmogonipue اي العلم الباحث عن أصل العوالم ونشئها يرجع بها الى الثقة بالعلماء القائلين بها الناهضين بأبحاثها والثقة تعظم وتضعف بحسب مرتبة صاحب النظرية العلمية وصحة افكاره

والمسئلة اذا كانت نتيجة الدليل القطعي لا سبيل الى مخالفتها البتة ولم يظفر ولن يظفر بهكذا مسئلة هي من تولدات البراهين القطعية قد تخالف فيها الدين والفن ومن ادعى ذلك فقد الخش في الخطأ لان الدين وضع الهي والموجودات الطبيعية التي يبحث عنها الفن هي ايضاً وضع الهي ولا يجوز بحال ان يكون تخالف وتناقض في الاوضاع الالهية قطعاً

نعم قد يكون تخالف بين النص الديني وبعض آراء هؤلاء الفنيين في الموجودات الطبيعية لا بين هذه الموجودات وهذا لا يلزمنا الاستسلام اليه بل لا يجوز اعتباره لان القبول وقناعة الضمير يرجعان الى الثقة بصاحب النظرية ودليله ويتفاوتان كماً وكيفاً بحسبها ولا ريب ان الثقة بالنصوص الظنية الواردة في الكتب السماوية هي اعظم من غيرها واكبر بما لا يقدر والانسان مسوق لاتباع الظاهر المرجح عنده على غيره فهو بنتيجة هذا الظن يكون مستنداً الى الوحي والدين واما نظرية عالم من العلماء فمستندة اليه لانها نتيجة افكاره وابحاثه المعرضة للخطأ وشتان ما بين الوجهين

ولا ريب ان اعتبار الشيء الظني قطعياً جهل والتعالي بالادلة الظنية الى ما فوق مرتبتها وتسوية نتائجها بنتائج البراهين القطعية خبط وتشويش في العلم واتخاذ نتيجة دليل ظني اقامه احد مشاهير الحكماء مثل مسئلة تولد الارض من الشمس وانفصالها عنها كعقيدة قطعية نسفه من خالفها ونصادم بها ولو ظاهر النص الديني من فواحش الاخطاء والاغلاط التي ارتكبها ويرتكبها الكثيرون ممن يسمونهم اليوم متنوري الافكار الذين درسوا العلوم الكونية ولم يدرسوا العلوم الدينية ولا اصول الادلة

والاستدلالات .

والعجب كل العجب من هؤلاء يعتبرون الاختصاصية قبل كل شيء وان لا يصدر الحكم في اية قضية قبل استيفاء شروط الحكم القضائي فيها وفي اية مسئلة قبل تدقيقها ودرسها كما هو الواجب ثم هم لا يطبقون هذا المذهب العادل على انفسهم فيعطون الحكم القطعي للفني على الديني بدون محاكمة وبدون فحص ادلة الطرفين وبدون ان تكون في احدهم اختصاصية او معرفة بالاستدلالات الدينية والقوانين المنطقية هب ان الدين والفن متكافئان في المرتبة الا تسترعي مخالفة احدهما للآخر فكر الانسان وتجعله يتبصر في الامر قبل ان يقبل احدهما دون الاخر قائلا اذا قبلت النص الفني لا يسعني رفض النص الديني وبالعكس اذاً لا بد من فحص النصين ودليليهما والنظر في قوة الدليلين وتوجيه منصب الحكم لاقواهما ليكون هو الحاكم المطاع كما يوجبه الحق والعدل

يتلقى احدهم دروس الطبيعيات ويمعن في الفنيات عن اساتذة غير دينيين نعني لم يدرسوا الدين فيشب على العقيدة الطبيعية مستهيناً بنصوص الدين متعالياً بالآراء الفلسفية الى ما فوق ما تستحق من مرتبة الاعتبار معتبراً رأي مثل لابلاس Laplace وغيره من مشاهير علماء الطبيعيات الكبار مقدساً غير قابل الجرح يجب ان ينبذ كل ما خالفه وهذا كما ترى اعتساف جائر

ان هذه الحالة السيئة فينا وفي اولادنا والمفكرين منا الدارسين للعلوم العصرية متولدة من امرين

احدهما ان المغلوب مسوق بطبيعة الاجتماعيات الى تقليد الغالب كما شرحه ابن خلدون في مقدمة تاريخه فالشرق المغلوب اليوم بالغرب يدخل كل جحر دخله الغرب ولو كان خربا والشرق انما يتمضمض اليوم بجرعة من العلوم الكونية هريقت من كأس الغرب فيتبجح بها على الدين ونصوصه متابعة للادينيين

وثانيهما عدم الاهتمام والعناية بدرس الدين درساً حقيقياً ودرس علومه التي تحاث

فقاهة بها تتجلى له مغازي نصوصه وتتفصح مطارح مراميه مع وجود العناية التامة بدرس الطبيعيات

اذا عرضت النظرية الفنية مخالفة على التقدير لظاهر نص من الدين ايدناها لكوننا درسناها على نص الدين لكوننا نجهل ادلته الناهضة وهذا ما اضر بنا وجعلنا نسير على ضلال

ما هي الا كلمة سبقت من ربك فريق في الجنة وفريق في السعير يهدي من يشاء ويصرف عن آياته من يشاء يتصرف في ملكه وعباده كيف يشاء لا يسأل عما يفعل لانه ليس مأموراً بل هو الآمر الناهي مالك الملك قيوم السماوات والارض الفعال لما يريد والصلاة والسلام على خاتم انبياه وعلى آله وصحبه وكل متبع هداه اما بعد فقد راسلني فاضل من نجباء شبيبة بلدنا طرابلس الشام وهو في احد المعاهد العلمية العالية يذكر انه وجد في مجلة الفجر النسائية سؤالا من صاحبتها ملخصه انه جاء في الكتاب المقدس في سفر الخليقة ان الله خلق الارض اولا ثم خلق الشمس في اليوم الرابع في حين ان علم الفلك يصرح ان الارض انشقت من الشمس وهذا لا ينطبق على قول الكتاب اذ كيف يمكن ان يوجد الفرع اي الارض قبل الاصل اي الشمس قدمته الى الاستاذ الفلكي في الجامعة الاميركية في بيروت منصور الجرداق فكان ملخص جوابه قوله الجواب الصحيح قول العلماء لان قول الكتاب من الوجهة العلمية وخصوصاً في القسم الاول منه لا ينطبق على القوانين والحقائق العلمية طبيعية كانت ام فلكية والعلماء يحقرون كل من يسعى للتوفيق بين القولين لان الوجهة الواحدة تدل على معارف الاقدمين في هذه الفروع وخطاؤها واضح والثانية مجلى لمعارف المتأخرين والفرق بين الامرين مشهور ثابت ثم قال وان الارض احدث نشءً من الشمس وبكلام آخر ان الشمس اقدم من الارض بملايين من السنين وهذه حقيقة اولية انتهى. فسألني ذاك الفاضل ان اكتب ما يلزم ان يكتب في هذا الموضوع لا سيما في نظر القرآن المجيد بينما كنت اترصد هدية خالدة اقدمها له باسم نبوغه الذي سيشتار شهده ويقتطف ثمره هذا الوطن البئيس المهدد اليوم بقحط

مستقبله من رجال العلم ما دام فاقداً خاوياً من النهضات العلمية ورجالها فانبري القلم لتحرير هذا الموضوع على وجه تتأيد به الحقيقة بقوة البرهان في هذه الوجيزة المرتبة على فصول تتقدمها مقدمة ذات ابحاث تمهيدية

ان احدنا ليعجب جداً من افتراضات منتقدة مجروحة ليست اساساتها بتلك التي يشاد عليها بناية عظيمة تعلو على بنايات النصوص الدينية السامية يعتنق مذهبها معظم رجال الشرق والغرب في العلم اليوم ولا تزال الاساتيذ تلقنها في المدارس للتلاميذ كحقيقة ثابتة لا تخالف وهي كما سترى مضطربة واهيه الاسس دامية بالجرح والنقض

من ثم رأينا مع الاعتراف بأننا لسنا ممن يملك بضاعة تروق في هذا السوق ان هذا الموضوع الخطير يستنهضنا للتعالي بالبحث في هذه المسائل الوعرة الى اقصى ما يمكن الوصول اليه فننقل ما تقرر اولا وآخراً عند مجموع هؤلاء الرياضيين من الآراء القسموغونية والفلكية مما له تعلق بموضوعنا من المبحث القوزموغرافي Cosmographie ونأخذه تحت المحاكمة والتنقيد على مسمع من كل الناس لتظهر قيمته الحقيقية لا سيما عند الذين يقدسونه من رقاة المصريين ويستعلون به على النصوص الدينية مع انه احط بكثير من ان يطول برأسه اسفل مرتكز القوائم المنيفة من تلك النصوص الشريفة

فاختر لك مستوى مشرفاً بحيث تبصر منه مواقع النبال والقذائف ثم انتح لك ناحية وراء مجلس المقررات التي تلغى كثيراً من تلك النظريات المفترضة التي سترى لنا الظفر عليها بقوة الحق ان شاء الله تعالى لتسمع كلمة الحق. انني في كل ما تتبعت وما هو بالقليل لم اجد من استوى الى تحرير هذا الموضوع وصدع بالحق دافعاً بصدر لابلاس وزملائه يصد هجماتهم بتلك النظريات على النص الديني بل بالعكس وجدت الكثيرين يتهيبون اولئك مستسلمين الى نظرياتهم منحازين بكليتهم اليها وما ذاك الا لان اشياعها المتولدين بها من ارحام المدارس العصرية كثيرون وطلبة العلوم الدينية ودرسة استدلالاتها فئة قليلة

كم ذا نبض مني عرق الغيرة الدينية بحرارة الحق كلما قرأت تلك المفترضات القسموغونية او كلما جابهني احد اولئك الرقاة بترجيحها وكان يقعدني بأقسى الضغط ان ليس لكلامي قيمة اعتبارية فنية لعدم اختصاصيتي بالرياضيات والطبعيات والمقصود ان يكون لابحاثي تأثير عند اولئك الرقاة لانهم هم شيعة تلك الافتراضيات المتحزبون لها والمتحيزون الى جانبها لا عند الدينيين المعترفين قبلي بمضامين تلك النصوص الدينية الشريفة بيد انه لما استفتيت كما علمت تقاضاني واجب الخدمة الدينية والعلمية الانتهاض الى اقتحام تلك الزوابع العاصفة استناداً على ما يقال الجود بالموجود وقد يدرك المفضول ما لا يدركه الفاضل والعبرة للمقال لا لمن قال وقبول الانتقاد من كمال الرجال والتعصب ضد الحقيقة من اقبح الخصال وقد قال بعض اراكين الفلسفة الكبار وقد كان فارق استاذه انا مع استاذي ما رأيت الحق معه فاذا فارقه فارقته لانني طالب حق لا طالب شخص رجل. ولكم اطلنا الوقفة بعد الوقفة استظهاراً للحقيقة امام النصوص السماوية المشعرة بوجود الارض قبل الشمس بل قبل وجود السماوات وامام المفترضات القسموغونية ومستنداتها القائلة بعكس ذلك مع ملاحظة ان من اعتقد ويعتقد هذه المفترضات يعد بألوف الالوف من نجباء البشر واذكيائهم مما يجعل الانسان يتهيب جرح عقيدة يعتنقها اكثر رقاة العصريين ونحن في طول هذه الوقفة بين امواج الحيرة يدفعنا احجام عن الترامي في تلك اللجة المزبدة لتهيب الجمهرة من اتباع تلك الافتراضيات ويتلقانا اقدام لاقتضاء العلم قبول مضامين النصوص الدينية المنيفة بعد ان وقفنا في الوسط وقفة طالب الحقيقة لا المتحزب المتحيز الى طرف من الاطراف فانسقنا غب البحث العلمي الدقيق العميق الذي لم يشبه تعصب ولا تحريف في الفهم الى ما افادته النصوص الدينية الشريفة انسياقاً جعلنا نستهين جداً وحق شرف العلم بتلك النظريات وما بنيت عليه من الاسس الواهية كما سترى

المقدمة

البحث الاول

قد تميز الكون غيظاً من اكثر هؤلاء الذين ينتمون الى الفن من طبيعيات وفلكيات يصعرون به خدهم ويمشون مغاضبين للدين مرحا يجراؤن علي تغليطه ويؤيدون عليه ما يزعمونه علما وما هو بالعلم اذ العلم منطقياً ما له قرار راسخ ثابت في ارض الحقيقة لا ترعزعه بل لا تمر به الرياح المقلقة لا ما تميد به الشكوك والاحتمالات المتعاكسة يميناً وشمالا وينقض منه اليوم ما ابرمه الامس ككثير من النظريات الطبيعية وجل النظريات الفلكية التي يتلمسونها من وراء الغيب ويستنتجونها من المقايسة على الاشباه والنظائر والانكى انهم يسمون ذلك علما صحيحاً ومعظمه له ثاليل متقرحة من النقد والنقض والعلم الصحيح ما استند لدليل سليم المقدمات صحيح الاستنباط مرتكزاً على المنطق

وكم ذا يكون قصوراً بالفكر والعلم بل اثماً عظيم الوزر خطير الذنب كبير السيئة بل كفراً صراحاً ان تجهل الكتب السماوية وتعتبر المسائل الظنية علما يتعالى على نصوصها بمزعوماته وانما مصدره رأي عالم او عالمين لا يستطيع الثبات في موقفه اذا هبت عليه نسمة صغيرة من الانتقادات العلمية

وبأعتقادي ان كل من يطلع على بادرة هذا الجواب الجرداقي الاثيم يشبعه من الانتقادات العنيفة والتأنيب على ما اجترحه من تسفيه ما جاء في كتابه المقدس في هذا الشان ومن نسب الخطأ والجهل لكتاب يعتقده سماوياً مقدساً واغضبه ولم يتأدب

لديه فهو احرى ثم احرى والف أحرى بالاغضاب وان تردسهامه الطائشة الى مقاتله ولا غرو ان بدأنا من ابحاث المقدمة بمناقشة ذاك الجواب غير المنتظر من مثله مناقشة سطحية من حيث موقفه امام ذاك الكتاب لان عبارة الجواب نخرة من كل اطرافها لا تصلح للمناظرة فيها واما من حيث تحرير ذات المسئلة فسيأتي ما فيه الكفاية فنقول :

اما ان يعتقد الاستاذ الجرداق ان الكتاب المقدس اي ما يدعى بالتوراة المتداول بينهم هو كتاب سماوي اي الهي نزل به الوحي على موسى كما نزل بالانجيل على عيسى عليهما السلام ويعترف بانه مأمور على لسان عيسى عليه السلام باتباع جميع مضامينه بانواعها الكونية والشرعية وغيرها اولا فان كان الثاني فقد خرج عن حدود المسيحية ورفض ما امرته به كنيسته في وقت انه مخالف لليهودية والاسلامية فهو بموقفه هذا مخالف للاديان ذات الكتب السماوية فليلتمس متحيداً عنا موطنا يلتحف فيه بحقائقه العلمية في خرابات الماديين والطبيعيين الجاحدين بالله النابذين للاديان وان كان الاول فمن الوجهة الدينية يكون تغليطه للكتاب كفراً صراحاً لانه يكون قد نسب الخطأ المستلزم للجهل الى منزل الكتاب باعتقاده فكأنه يقول له يا هذا اخبرك في هذا الكتاب الذي تعتقد وتؤمن انه منزل من عندي انني خلقت الارض اولا ثم خلقت الشمس وهو يقول له ليس الامر كما ذكرت يا رب لان العلم يقول بخلاف ذلك وهذا من اقبح الجهل . واقبح منه ما صارحني به بعضهم ان الكتب السماوية نزلت بحسب عقيدة البشر وقد كان الاقدمون يعتقدون في تكوين الارض والسماوات والشمس ما ذكره الكتاب فنزل على عقيدتهم اي وان كانت غلطاً ثم جاء العلم وصحح هذه العقيدة فهذا القائل يذهب الى ان الكتاب كاذب باخباراته التكوينية قد جارى عقيدة الناس في ذلك فالقلم يتراجع مشمئزاً من هكذا ترهة غمت بها الثرثرة والخبلة الدماغية

ومن قائل ان الكتب السماوية لبيان الدينيات والشرعيات لا لبيان الحقائق الكونية . قلنا نعم ولكن اذا اقتضى الحال بيان شيء منها لا يجوز قطعياً ان تذكره على وجه الغلط والخطأ مخالفاً للواقع ونفس الامر . ومن النكاية ان الكتاب يقول خلق الله الارض اولا ثم خلق الشمس ولابلاس وزملاؤه واتباعهم يذهبون الى ما يخالف ذلك بتظنيات سقيمة ومفترضات واهية يعتنقها رقاة المتعلمين . والانكى ان تلك الافتراضيات يسميها الاستاذ الجرداق قوانين وحقائق علمية حال كونها قد جرحها ترقي العلم اليوم ورفضها كما سنبينه ومن الوجهة العلمية نرى ان العلم قد اثبت وجود النور قبل بروز الشموس من بطون السدام مؤيداً لما جاء في ذاك الكتاب كما سيجيء رغماً عمن قال لا نور الا من الشمس وكما جاز لكم في الافتراض ان تقولوا حدثت الشمس من اصطدام الذرات في قلب المجموعة السديمية يجوز لنا ان نقول حدثت الارض مثلها وقد كانت ذات كتلة سديمية تصغر عن سديمية الشمس بمرات ثم دارت على محورها تأثراً من ذاك الاصطدام ولما برزت الشمس ذات جاذبية عظيمة اكثر مما في الارض بكثير جذبتها اليها واستتبعتها في جملة الدائرات حولها من السيارات فالمسئلة كلها تظنيات في تظنيات يأثم من يسميها حقائق علمية يغلط بها مضمون ما جاء في سفر التكوين

البحث الثاني

ان الناظر في قضية يريد ان يعلم حكمها ودرجته من القطع والظن يجب ان يكون عالماً بالادلة وانواعها وطريقة صدور النتائج منها ليكون مستنداً في الحكم اليها والا كان علمه غير راسخ تميد به الشكوك وتمور به الانتقادات بل لا بد

من امعان النظر في التفرقة بين الشيء القطعي وبين الظني فقد يذهب احد علماء الفن الى نظرية ضئيلة تفتح له كوتها ابحاثه الفنية فيسطرها في مؤلفه مشفوعة بشواهد يعتبرها صالحة لاثباتها وقد تكتسب تلك النظرية قبولا وشهرة لشهرة صاحبها العلمية فتسير بين المعاهد العلمية ويقررها الاساتيذ للتلاميذ كعقيدة قطعية غير قابلة للنقض فالحق ان نتبع الحق أذا اظهره البرهان وظهر لنا ما دل على خطأنا

حي الله الاسلام وعلماءه يرون اضل الضلال اتباع الخطأ بعد ظهور الصواب . هذا الامام الجليل الكبير الشافعي رحمه الله ظهر له فيما بعد ما جعله يرجع عن بعض ما ذهب اليه من المسائل الشرعية باجتهاده الى ما اثبته البرهان بخلافها فليس من بدع ان نرفض نظرية لابلاس وزملائه لسقوط مستنداتهم فناً في مسئلة تولد الارض

ليس لنا ان نرفض كل مسئلة فنية تنسب للطبيعيات كما يفعله بعض من ينتمون للدينيات يراؤون بالورع فيشينون الدين والعلم وليس علينا ايضاً ان نقبل كل مسئلة فنية قد تكون من قبيل ما ذكرنا وما كل مسئلة جرت اليها تطوافات بعض الباحثين في الفلكيات يجب ان تعتبر عقيدة مقدسه فليست النظرية الشائعة بين جماهير المتعلمين القائلة بتولد الارض من الشمس بتلك النظرية المنيعة الصياصي المقدسة عن الجرح والانتقاد او ان جدرانها مصفحة من فولاذ لا تؤثر فيها القذائف والنبال فلا يهولنك امرها ولا تتهيب انتمائها لاشهر الحكماء طالما تريد ان تتناول الحقيقة من يد الدليل ولولا الخروج عن الصدد لاتيناك بشواهد كثيرة من النظريات الفنية التي يتكبر بها علينا وعلى النصوص الدينية كثير من دراس الطبيعيات وهي متصدعة من كل اطرافها تنهال بخذفة واحدة يراميها بها الدليل

البحث الثالث

اول من تكلم في فن القسموغونية Cosmogonique الكلدان Les Chald-éens والعراقيون Les Assyriens والمصريون Les Égyptiens ومعارفهم في ذلك كانت ضئيلة جداً وما زال البحث سقيماً الى ان قوي وترقى بترقي الافكار قبل نحو قرن الى اليوم وقد جاء الفلكيون بأشياء في غاية الابهام الى ان قام لوكراس Lucréce الشاعر اللاتيني فتصور مادة منتشرة تحولت شيئاً فشيئاً الى ان توصلت الى توليد الكون الحالي وقال لم يكن يرى بعدُ شيء لا موكب الشمس ولا السماء ولا الارض ولا الهواء ولا شيء مما يشابه الموجودات التي تحيط بنا اليوم بل كان في البدء مجموع هائج ومضطرب مركب من مواد مختلطة قال الاستاذ الفلكي الشهير لابامورو Labbé Th Moreux Directeur de L'oservatoire De Bourges مدير مرصد بورج — مدينة في فرنسا — ماتعريبه والكنيسة ولئن تعود البعض ان يرموها بقلة المعرفة فهي لم تحدد اصلا ما كانت عليه حالة المادة عند الخلق بل ان التقليد الكتوليكي مجمع على ان المادة كانت واحدة في البدء وذكر عن الاستاذ Bonaventure بونافانيتر انه قال ملخصاً هذا التقليدان الشراح بوجه الاجمال قد فهموا من قول التوراة : في البدء خلق الله السماوات والارض : انها عنت مادة جميع الاشياء المنظورة فهي اذا واحدة ومن ثم يجب ان نستنتج ان الاجرام السماوية والاشياء الارضية قد نشأت موجوداتها عن مادة واحدة

قلت لا ادري بأي طريق جاء هذا الفهم الى الشراح وما في قول التوراة المذكور الا افادة ان السماوات والارض مشتركتان في انهما خلقتا في البدء ولا دليل فيه على انهما من مادة واحدة لا بدلالة المطابقة ولا التضمن ولا الالتزام كما ان العلم يمنع ذلك فان المادة يلزم ان تكون مجموع العناصر كلها كما اشار الى ذلك لوكراس Lucrèce

بقوله المار : مركب من مواد مختلطة : لان كل عنصر هو مادة شيء من الموجودات كالماء فان مادته الهيدروجين Hydrogène والنار مادتها الاوكسجين Exygene والفحم مادته الكربون Carbon فكيف يصح ان يقال ان المادة واحدة والنقل لا يدل عليه والعلم يافيه على ان هذا الرأي يزعج الماديين ويصدع مذهبهم ونحن نرحب به جدا لان تولد متضادين بالنشوء الذاتي كالاوكسجين والهيدوجين من رحم واحد وبمادة واحدة غير معقول فلا بد من سبب خارجي بقدرته ان يوجد ذلك وهو صانع العالم ومبدعه سبحانه وتعالى وقد سئل لويس بخنر الشهير Luis Bahnar عن ماهية المادة فأجاب نحن لا نعلم ما هي القوة ولا ندري ما اذا كانت المادة واحدة او مكونة من ستين او سبعين عنصراً فبهذه التصريحات الكفاية لتأييد ما قلت وان يتضاءل القول بمادة واحدة خاضعة لنواميس ميكانيكية من يوم خلقت . ثم ان اليونانيين كانوا يرون قبل فاكي اليوم حين تعلموا في مدارس المصريين ان العوالم نشأت من التكاثف التدريجي في المادة الاولية التي كانت في منتهى اللطف والخفة ومنتشرة في الفضاء ثم قام بعدهم آخرون ودرسوا حالة ما يرونه من الذرات المتجمعة كأنها ضباب ابيض سماه الاستاذ ابو الحسن الصوفي — كذا سماه في كتاب بسائط علم الفلك والذي رأيته في بعض المؤلفات المعتبرة انه ابو الحسين عبدالرحمن بن عمر المعروف بالصوفي وله تأليف في الرد على مزاعم المنجمين حمله الى عضد الدولة بن بويه فاستحسنه واجزل عطاءه — اكبر علماء العرب في الفلك في كتابه الذي الفه في اواسط القرن الرابع للهجرة (لطخة سحابية) حينما رأى سديم المرأة المتسلسلة Andromede لكن الحكيم فان ديك المستشرق الامير كاني المؤلف الشهير نزيل مدينة بيروت من سوريا ترجم كلمة Nabula نابيلا (كذا نص بعضهم والذي في قاموس : بتي لاروس Petit la Rousse ومثله في كتاب D'où Venons-nous من اين جئنا الاستاذ مورو الآنف الذكر بلفظ Nabuleux-euse نابيل لكن في القاموس بحرف A وفي كتاب من اين جئنا بحرف É بعد N وليحرر) بكلمة سديم وتجمع على سدام

بكسر اوله وقد اصاب المرمى لان السديم كأمير الضباب الرقيق كما في القاموس وشاع ذلك شيوعاً اهمل ما سواه وتتابع الباحثون في السديميات حتى جاء استاذ العلم الفلكي وليم هرشل الشهير Vuillam Harchel مكتشف السيار اورانوس في برج الجوزاء Uranus à Laconstelltion des Géneaux فقام بأكتشافات عظيمة للسدام وكانت اخته كارولين Carolline تساعده في ارصاده الفلكية التي سماها تطوافات سماوية وكانت تلك السديميات اللبنية اللون تنجلي له بحسب ازدياد نظارته وذهب الى ان رؤيتها محللة الى نجوم متباعدة تتعلق على تقدم علم النور او بتيك Optique ثم غير رأيه ورأى ان الفضاآت السماوية محتوية على مواد سديمية وسماها سائلاً لامعاً له صفات مجهوله غير ممكن تصورها وان هذه المواد اذا تجمعت ولدت شيئاً فشيئاً شموساً تحف بها اقمار كما هو حاصل في عالمنا الشمسي ثم توالى العلماء بالبحث في هذه السديميات عن المراحل التي تمر فيها الكواكب في تكونها من حالتها السديمية فالى الركامات التي نراها من شموس وكواكب واشهر هؤلاء واربجهم تأثيراً على عقول من اشتغلوا بهذه المباحث كانط Kant ولابلاس Laplace وفاي Faye والكولونيل ليغوندس Colonel R. du Ligondès على ما رأيته في كتاب Doù Venons-nous من اين جئنا المتقدم ذكره ورأيت في كتاب بسائط علم الفلك آراء اخر في ذلك للسر روبرت بول Sir Robert Bol وشمبرلين Chamberlain ومولتن Molton والموسيو اميل بللو M. Emile Bello لكن عجبت منه ان ذكر ان الفيلسوف كانط الالماني تناول رأي لابلاس وطبقه على كل الاجرام السماوية مما يوهم ان لابلاس اسبق بالرأي القسموغوني في وقت ان كانط هو اول من نهض بهذا البحث سنة ١٨٥٥ م كما ذكره الاستاذ مورو وذكر ايضاً كان العلم منذ اربعين سنة متمسكاً بأفتراض كانط الى ان جاء لابلاس وهذا انما ارتأى رأيه سنة ١٧٩٦ م واذ كان ذكر لابلاس اكثر تطوافاً على الاسماع بأفواه الاساتيذ والتلاميذ ورجال العلوم

العصرية كان الاجدر ان نحتفي بذكر شيء مما قيل فيه لانه كان من اكبر علماء الفلك الرياضيين وله خدمات جليلة في ذلك خلدت ذكره بأحترام عندهم

ولد لابلاس Laplace في نورمندي Nourmandie سنة ١٧٤٩ م وأول ما ظهر نجاحه في المسائل اللاهوتية Les sciences Chéologique حتى قال فيه الاستاذ فورية Fourrier ما من احد يعلم ما الذي حمل لابلاس على الانتقال الجميل من الدروس المدرسية La Scolastique الى الهندسة العالية La Haute Jéométrie فلم يرق هذا الكلام الاستاذ مورو وهو لاهوتي فتعقبه بقوله فليسمح لنا فورية ان نقول له ان في الفلسفة المدرسية على ما يظهر لي احسن استعداد للدروس الرياضية البحتة لما لهذه الفلسفة من الطرائق في التدقيق والاحكام في القول ولما هو عليه منطقها من القوة والضبط فلربما الى هذا يعود الفضل في دعوة لابلاس وانقلابه الى الدروس الفلكية

ثم ان لابلاس رأى لزوماً ان يوجد في عاصمة فرنسا وكان دالمبر D'Alembert الشهير آنئذ في اول مجده فقصده لابلاس وبيده التوصيات العديدة اليه ولم يستطع الوصول اليه بعد سعيه الحثيث فارتأى ان يقدم له رسالة ضمنها المبادي الاولى في الميكانيك Mécanique فاكتفى دالمبر ذاك المهندس الكبير بما رآه في هذه الرسالة دليلاً على فضل الشاب المراسل فدعاه اليه وقال قد تحققت بذاتك اني لا اهتم كثيراً بالتوصيات ولكنك انت في غنى عنها لان الطريقة التي استعملتها قد عرفتني بك احسن تعريف (لا يعرف الفضل الا ذووه) فيمكنك ان تعتمد على مساعدتي (هكذا تترقى الامم بتقدير الفضل قدره للفضيل) ولم تمر برهة طويلة حتى تعين بفضل مساعدته استاذاً في المدرسة الحربية L'école militaire وبعدها بقليل صار عضواً في مكتب مقايسة الاطوال Bureau des Longitupe الى ان دخل اخيراً معهد الامة L'institut national وقد كانت له مقدرة فائقة على التحليل ظهرت في جميع فروع الرياضيات Mathématique لا سيما في مسئلة الميكانيكية

السماوية La mécanique céleste حتى كان نابغة في الفلكيات ودل على عظمة نبوغه كتابه المشهور (شرح الرأي في العالم) يعني في تكوين العالم L'Cxpsition du System du monde وقد ذاعت نظريته الآتي ذكرها في مبدأ التكون حتى اصبحت عقيدة الفنيين الراسخة بيد انها لم تسلم من الجرح البليغ الذي حط من اعتبارها فبنى الرأي القسموغوني مؤخراً على سواها مما يفتح السبيل الى اعتبار ان ما سواها ايضاً غير مستعصى عن نقله الى مهاب الرياح التي نسفت نظرية لابلاس نسفاً

البحث الرابع

انما يعتمد علماء القسموغونية في نظرياتهم وفرضياتهم على الاستقراء الناقص وقياس التمثيل وحمل النظير على مثله واتخاذ بعض الحادثات الطبيعية مدرجة لقبول تلك النظرية كما ستعرف وهذا حسن وطريقة من طرائق الاستدلالات لكنه من اضعفها وليس في استطاعته ان يثبت في موقفه امام نص ديني املاه الوحي قد لا يتناسب مع ظاهره ومن المقرر ان قبوله دون النص القطعي كفر دينياً خطأ علمياً ودون النص الظني اثم وخطيئة كما ان المنطق يرده ويرفضه هذا ولا يتهمنا من يرى حملاتنا على بعض المسائل الفنية والآراء القسموغونية اننا ممن يحارب العلوم الكونية التي يطلق عليها اليوم العلوم العصرية على وجه الاطلاق ويجهل قدر العلوم الرياضية والمباحث الفلكية التي يشرحها اليوم شرحاً واسعاً ترقي العلم والارصاد الفلكية واعظم وسائطها كالسبكترسكوب Spectros cope والتصوير الفوتوغرافي Photographie فاننا من اخلص اشياعها وارفعهم صوتا بالدعوة اليها لكن اذا

رأينا رأياً قلقاً بالاحتمالات والتظنيات ليس له دليل يرسخه في موضعه يصادم ظاهر نص ديني لا سبيل الى مخالفته البتة بحكم البرهان ملنا على ابطاله ميلة واحدة وقتلناه بالردود الناهضة الجارحة وقليناه بدهنه وشويناه على ناره والانسان من حيث هو عاقل مفكر مجبور ومفطور على اتباع اقوى الرأيين دليلاً واسطعهما برهانا واوثقهما اساساً واحرى بالانسان ثم احرى ان يعترف بالخطأ ويصلحه ويتبع سبيل الحقيقة من عناده وجموده في منحدرات الاخطاء ومراسب الضلال ولا احد يجرأ ان ينكر علينا قولنا هذا الا البليد الغاشم الذي لا يؤبه به والا الذي هو متشبع بالروح المادية لا يزعن الى ما وراء المادة ولا يحترم الاديان والكتب السماوية ككثير من تلامذة المدارس العصرية وكما يفيده الجواب الجرداقي الذي كان اشد من وخز الابر ايلاماً للحقيقة بل اثقل من جبال هملايا واهتك لحرمة الادب من مجنة الخلاعة قوله فيه [الجواب الصحيح قول العلماء] أي ما ذهب اليه في مسائل التكوين علماء الفلكيات والطبيعيات لا قول الكتاب فلا يعتمد عليه في ذلك فلا يستشكل به فيما قالوه من تولد الارض من الشمس [لان قول الكتاب] غير صحيح لانه [من الوجهة العلمية] اي لا الوجهة الدينية فيقبل قوله في الدينيات لا العلميات كما هو مسلك اللادينيين (وخصوصاً في القسم الاول منه) المتعلق بالتكوين وبدء الخليقة (لا ينطبق على القوانين والحقائق العلمية طبيعية كانت او فلكية) اي واذ كانت هذه هي الصحيحة فما لا ينطبق عليها غير صحيح فقول الكتاب غير صحيح خصوصاً القسم الاول منه قلت هذا الكلام دلنا على قصور واضح في علمه واطلاعه على اقوال العلماء وقد ذكر في احد تفاسير هذا الكتاب عن الدكتور كنس اللندني ان ما تحقق في علم الهيئة Astronomie والجيولوجيا Jéologie خمس عشرة حادثة علمية ثبتت بالادلة القطعية وقد عرفت في الاصحاح الاول من سفر التكوين وهذا مما يرد عليه صراحة (والعلماء) من امثال الاستاذ الجرداق (يحقرون كل من يسعى للتوفيق

بين القولين) لماذا يا ترى و كأنه لبعد التباين بينهما ووضوح خطأ قول الكتاب وثبوت قول العلماء على رأيه وذلك (لان الوجهة الواحدة) يعني وجهة الكتاب المقدس بدليل القياس (تدل على معارف الاقدمين في هذه الفروع) يعني المسائل التكوينية الفلكية (وخطاؤها ظاهر) فما دل عليها وهو وجهة هذا الكتاب في هذا الشأن خطأ (و) اما الوجهة (الثانية) التي هي قول العلماء من امثال الجرداق المخالف لوجهة هذا الكتاب فهي (مجلى لمعارف المتأخرين) الذين هم اصحاب تلك القوانين والحقائق العلمية التي لا ينطبق عليها قول الكتاب ومنهم الاستاذ الجرداق (والفرق بين الامرين مشهور ثابت) عند العارفين بالادلة المثبتة لقول هؤلاء العلماء (وان الارض احدث نشأ من الشمس) لانها انشقت منها على رأيهم (وبكلام آخر ان الشمس اقدم من الارض بملايين من السنين) استناداً على افتراض لا بلاس وزملائه خلافاً لما صرح به الكتاب المقدس وكم ذا يحتاج الحال الى طبيب حاذق ماهر يفحص لنا هذا الدماغ الذي اندلق عنه هذا الكلام الآثم ونحن كنا امسكنا عن البحث في العبارة لكن القلم شرود لا سيما اذا اوقدت الترهات حدته وغيظه والى ههنا وقفت بنا ابحاث المقدمة التمهيدية فندخل الى الموضوع من بابه ثم نشفعه بتبرعات هامة مشتقة منه فنقول

الفصل الاول

قد علمت ان في جو السماء كثيراً من البقع لبنية اللون كسحاب ابيض Blanchâtre سماها الاستاذ الصوفي لطخات سحابية وغيره سداماً وبهذا اشتهرت وشاعت كما مر والسديميات كثيرة جداً وموقعها بين النجوم لا يتغير وهي منيرة جميعها وهذا ما استقرت عليه نتائج الارصادات والابحاث العلمية الفلكية وهو مؤيد لما جاء في سفر التكوين : ليكن نور فكان نور : والسديميات بعضها غير منتظم كسديم الجبار وبعضها مستدير الشكل كالسيارات وبعضها حلقي كحلقة مفرغة في وسطها نجم كسديم الشلياق وبعضها لولبي كسديم السلاقي وبعضها لولبي وحلقي في وقت واحد كسديم المرأة المسلسة وهو اكبر السدام اللولبية لانه يمتد نحو درجة والسديم اللولبي Nébuleuse en Spirale اول من رآه Lord Ross لورد روس بنظارته الكبيرة التي قطر مرآتها ست اقدام — واما نظارة هرشل فقد ذكر في بعض المجلات العلمية المعتبرة ان طول انبوبها اربعون قدماً ورأى بها نجوماً لا يصل النور منها الينا الا في الوف وملايين من السنين لبعدها الشاسع عنا مع ان النور يسير نحو مئتي الف ميل في الثانية من الزمان وكل نجم منها اكبر من ارضنا وشمسنا بمرات كثيرة = وله شأن في علم الفلك كبير حيث ذهبوا الى ان نظامنا الشمسي اصله من سديم لولبي وقالوا ان الشكل اللولبي قد ظهر آتياً عن ذراعين كبيرين خارجين من النواة في القلب ممتدين الى جهتيهما المتقابلتين فيلتفان على النواة ويتولد في الذراعين عقد او نوى ثانوية ويغطي المجموع غشاء رقيق متكون من مادة سديمية متقطعة الى قطع نحيفة فالنواة المركزية هي ما يكون في المستقبل بمنزلة الشمس من المجموع والعقد في الذراعين تدلنا على النوى التي تتكون منها السيارات

وما نراه من الخطوط الرفيعة الواصلة بين العقد المذكورة تنشاء عنه الاقمار اذاً فعالمنا ناشيء عن سديمية من هذا النوع

قلنا النواة في القلب ليست شيئاً غير الذرات المتبعثرة في الفضاء الصائرة سديماً فما الذي انتقى هذه الذرات التي منها تكونت النواة واختارها بعينها من بين سائر الذرات المتاخمة لها وما الذي اكسبها الاستعداد لان تكون نواة ولوداً فمركزاً في القلب مستودعاً للجاذبية مملوءاً بالمواد التي تشتعل حتى التهبت بالاصطدام فكانت شمساً فلا بد من سبب طبيعي لذلك طالما نستصدر الحادثات الكونية من معامل الطبيعة ونعتمد عليها في ابحاثنا والافتراضيات القسموغونية لا بد ان تؤيدها الطبيعيات والمسائل الطبيعية اذا اتحدت في العلة تساوت وعدم تساويها دليل اختلافها في العلة فالتفاوت العظيم في المحصولات والنواتج السديمية مما يحدث الارتياب بالمفترضات فيها ويحط من اعتبارها بنظر العلم

فقد ذكروا ان قبيلاً من النجوم عرفت حركات ٣٩ نجماً من نجومه بالتدقيق واهمها في برج الثور وهي منا على ابعاد مختلفة من ٦٠٠ مليون مليون ميل الى ٩٠٠ والنور لا يقطع سعة هذه المنطقة في اقل من خمسين سنة ومن هذه النجوم خمسة يماثل نور كل منها نور خمس شموس مثل شمسنا الى عشر شموس و ١٨ نجماً يماثل نور كل منها نور عشر شموس الى عشرين شمساً و ١١ نجماً يماثل نور كل منها ٢٠ شمساً الى خمسين شمساً فالتفاوت العظيم في النوى الكائنة في القلوب المركزية السديمية الموجب لهذا التفاوت في الشموس يجعل الانسان الحر بضميره المستقل بعقله وفهمه عن مداخلة كل تأثير خارجي يتوقف ولا ريب عن قبول الوقوف عند هذه الافتراضيات ويتعالى بالبحث الى حيث يجد نواميس تساعد على القول بها على انه اذا كنا نرى من حالة السديم اللولبي ما ذكرتم وجاز ان يكون قد حدث عالمنا الشمسي على هذا الوجه فما فيما ذكرتم من شيء يضطر الانسان على اعتبار ان الارض مشتقة من الشمس ومتأخرة الحدوث عنها بل يجوز بالعقل ان تكون قد حدثت عنها ويجوز ان

تكون مستقلة بسديمية تكونت منها وظهرت قبل الشمس واذا قيل في الارض ما في الشمس من العناصر بحسب ما شوهد في الطيف الشمسي بواسطة الاسبكترسكوب — فقد علم ان العناصر التي في الشمس تبلغ حتى الان ٤٥ عنصراً وكلها من العناصر الارضية لان النور ينحل الى الوانه السبعة اذا مر في نقطة ماء او كسرة زجاج او قطعة من الزجاج غير متوازية السطحين وقد اطلقوا على النور المحلول كذلك اسم الطيف الشمسي او طيف النور واذا نظرنا الى هذا الطيف بنظارة مكبرة رأينا فيه خطوطاً سوداء واذا كان هذا الطيف ناتجاً عن انحلال نور شمعة او مصباح رأينا فيه هذه الخطوط باختلاف العناصر التي في المصباح او الشمعة ولكل عنصر من العناصر الارضية المعروفة خطوط خاصة به يستدل بها على وجوده فاذا وجدت هذه الخطوط او ما يقابلها من الخطوط السوداء في طيف نور الشمس فهي دليل على وجود ذلك العنصر في الشمس كما هو موضح في كتاب بسائط علم الفلك — فدل ذلك على ان الارض مشتقة من الشمس فهي متأخرة في الوجود عنها . قلنا بل يلزم العكس لان ما في الشمس في الارض وليس كل ما في الارض من العناصر في الشمس لان الارض قد علم بالاكتشافات لليوم انها تزيدها بالعناصر كثيراً ولو كانت بنتها المتولدة منها لما زادتها لانها حينئذ تكون بضعاً منها وبعضاً من بنيتها المتكونة بجميع اجزائها وابعاضها من تلك العناصر الموجودة فيها لكنها قد زادتها بعناصر ليست فيها باتفاق الفلكيين فثبت انه لا يجوز ان تكون منفصلة عنها

انظر الى الشذرات والشظايا الحديدية المتقطعة من الحديدة الملتهبة في الكور بواسطة مطراق الحداد فان ما في الحديدة من المواد موجود في تلك الشذرات بلا ريب ومن المقرر منطقياً ان البعض لا يكون مبايناً لكله فيما هو متألف منه اساسياً وقد ذكروا في الطبيعيات ان الجسم بسيط وهو المتكون من اجزاء دقيقة ذات طبيعة واحدة وتسمى الاجزاء المكملة ومركب وهو المتكون من اجزاء دقيقة متغايرة الطبيعة وتسمى الاجزاء المكونة فكل جزء من الاجزاء المكونة مركب

من اجزاء مكملة بعدد الجواهر المركب منها الجسم فالمركب من قصدير ونحاس كل جزء من اجزائه مشتمل على جزء من القصدير وجزء من النحاس وكل من هذين الجزئين على حدته مكمل ومجموعهما جزء مكوّن

واذ شحط بنا البحث الى بقية السيارات قلنا فيها ما قلنا في سيارنا لانها متكونة من نفس المواد المتكون منها سيارنا كالصوديوم Sodium والمغنيسيوم Magnesium والهيدروجين Hydrogéne والاكسجين Oxygéne والكربون Carbone والكليوم Kaliume والبوتاسيوم Potassiume والحديد Fer والتلوريوم Tellerium والبزموت Bismuth والانتيمون Antimoine وقد علم من فحص الحجارة الجوية ان هذه المواد تتحد في ارضنا فالمعمل واحد والقدر الذي طبخت فيه واحد

على انه كيف انفصلت الارض عن الشمس وهي جذوة نار تلتهب بما فيها وتلهب ما حولها ومن المحال ان يبرد جرم او ينطفيء التهابه ويبقى فيه او في محيطه ذرة من الاوكسجين والهيدروجين والنتروجين التي عليها مدار حياة الحيوانات والنباتات على انه لو كان يلزم من الاتحاد في العناصر ان يكون احد المتحدين مشتقاً من الآخر للزم ترجيح احد المتساويين بلا مرجح وايضاً للزم ان تكون البطاطا والقمح والذرة مثلاً مشتقة من الكتان لاتحادهما في العناصر كما اظهرته التحليلات الكيماوية لكن التالي باطل فالمقدم مثله

وبهذا ظهر كما سيتحقق ايضاً فيما سيجيء ان لا دليل ناهضاً في يد الابحاث الفلكية يجبر الانسان على عقيدة تولد الارض من الشمس فبقيت المسئلة مبدئياً متوسطة بين ظنين كلاهما جائز عقلاً وفناً : هذا منا على سبيل المسايرة في البحث : احدهما ان تكون الارض في جملة النظام الشمسي الحاصل من السديمية اللولبية مشتقة من الشمس والثاني ان تكون بنت سديمية مستقلة تكونت منها ثم التهبت بتصادم ذراتها وظهرت للوجود قبل الشمس واخذت تدور على محورها الى ان برزت الشمس

ببقية سياراتها فأدخلتها قوة جاذبيتها الغالبة القاهرة في دائرة تلك السيارات تدور في جملتها حولها دورتها السنوية بيد انه حيث جاء الكتاب ينص على ان الارض وجدت قبل الشمس وقد اعتبرها المعتبرون انها ضمن دائرة النظام الشمسي لزم ان يترجح الوجه الثاني وان نأخذ به نابذين ما سواه ولا وجه للقطع والبت في خلافه اذ لا قاطع في نظرية الاول يكلفنا تأويل النص ولسنا ندري لماذا يغصون بتلقي المسئلة عن الكتاب ويسوغون كل شيء ينتمي الى الفن الذي هو ليس في مأمن من الخطأ والضلال

الى الماء يسعى من يغص بلقمة الى اين يسعى من ينص بماء

وبالتتبع النزيه العميق لم نجد قولاً في هذا الموضوع ولو لاشهر واحد من علمائه الذين يميل اليهم الشعب سالماً من الجرح والانتقاد كما سترى فاذاً بأي وجه يقبل الانسان قول متظنن بأفتراضات سقيمة يريدان يتلمس الحقيقة من وراء حاجز كثيف لم يسلم قوله من الجرح والنقد والنقض ويترك ظاهر النص الديني المستند الى الوحي عن الله تعالى في امر لم يشهد تكوينه القسموغونيون (قل ما اشهدتهم خلق السماوات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا) ولولا مخافة التطويل لافضت عليك بالتفاصيل ولذلك اكتفي بمحاكمة من سبق ذكرهم من علماء هذا الفن والنظر في مستنداتهم لانهم هم الذين انتشرت اقوالهم على وجه استعلى به متبوعهم على النصوص الدينية حتى انه لا احد يجرأ على رفضها والا اعتبروه كرجل غير دارس وغير فاهم لشيء من هذا الكون وان علمه او فكره محدود ليس بقدرته ان يتطاول الى ابحاث عالية كهذه وهؤلاء الاتباع لم يعطوا كل دليل حقه من المرتبة والترجيح بل سمعوا قول احد الخصمين فقط وحكموا له وهذه وصمة شائنة يمجها الوجدان النزيه من الانسان المفكر الراقي

وقد آن ان نعقد جلسة المحاكمة في قاعة هذه الوجيزة فأثبت ايها السامع في موقفك المتوسط غير منحاز الى التعصب عدو الحقائق واعتمد الخلوة الهادئة بوجدانك النقي وما تمليه عليك الحجة والبرهان تظهر الحقيقة وينفتح لك سبيل الرشاد

Kant كانط

ذاك الفيلسوف الالماني كان حاصل رأيه انه افترض المادة في اقصى ما يتصور من البساطة واكثر ما تكون تبسطاً وانتشاراً في الفضاء كالحالة التي توجد عليها اليوم اقل السديميات كثافة وقد رأى الشمس تدور مع سياراتها الى جهة واحدة اي كما هو الشأن في السديميات فلا جرم ان كان تحول عالمنا في تكوينه من ابسط حالة لمادته الى ان انتظم عالماً شمسياً لتحول السديميات . قال الاستاذ لابامورو ما خلاصته:

ان نظريات ذلك العصر وعدم تقدم علم الفيزيك Physique وقتئذ لم يمكنا من التوسع في نظريته Son hypothése وان من يقرأ افتراضه يعثر في كل خطوة على اغلاط شتى من ميكانيكية وفيزيكية وقال فيه ايضاً في محل آخر وليس غرضنا ان نتبع كانط في بسط افتراضه الذي اصبح اليوم ضعيفاً من اوجه عديدة الخ

فهذه التصريحات في حقه اراحتنا منه وكانت كافية للحكم عليه باسقاط نظريته لكن العلم ظل متمسكاً بافتراضه الى ان جاء الشهير الطائر الصيت

Laplace لابلاس

وافترض افتراضاً بناه على تجربة العالم الفيزيكي بلاتو Plateau البلجيكي وخلاصة ما قيل من ذلك ان نقطة الماء المتقطر من الاشجار عقب الامطار تاخذ شكلاً مدوراً وفي قطرات الندى يظهر هذا الشكل احسن ظهور ومثل ذلك ما يرى في نقطة الزيت المدفوعة الى داخل الماء حيث تحفظ شكلها المستدير الى ان ترجعها خفتها الى سطح الماء ففي هذا كله ما يدلنا على شيء اعم بكثير فان كل مادة يقطع عنها كل تأثير خارجي تتخذ هذا الشكل المستدير سواء كانت سائلاً او مائعاً او غازاً فلو افرزنا كمية من الغاز او من المائع بين النجوم رأينا هذا الحجم المشوش قد اتخذ شكلاً مستديراً كالكرة وشابه القمر والشمس والنجوم والسيارات لكن الوصول الى

تلك الفسحات متعذر فلنفتكر اذاً بطريقة اخرى خذ إناءً قصير العنق واسع الفم واسكب فيه ماءً ممزوجاً بشيء من الكحول وبعد امتزاج المادتين القِ في وسطها كمية من الزيت تسبح هناك على شكل مستدير كروي فقد الآن الى هذه الكرة الزيتية سنارة حياكة فتتمكن من تحريك هذه السيارة الجديدة بحركة رحوية سريعة فحينما تشتد حركتها الدورية تأخذ بالتسطح في قطبيها وبالانتفاخ في خطها الاستوائي على ما هو في الارض بلا اختلاف ولو اخذت حجراً وادرته في الفضاء ما شئت لم يتغير شكله اذاً فبما ان لارضنا شكلاً اهليليجياً مستطيلاً وهي متجمدة فلا بد من انها كانت في الماضي مهما اختلفوا في مدته غازية او مائعية او الامرين معاً واذا لاحقنا تجربتنا وزدنا شيئاً فشيئاً في سرعة تلك الكرة الزيتية زادت استطالتها الى ان يتكون من حولها انتفاخ ينتهي امره بالانفصال آخذاً صورة حلقة بالتمام ثم ان انت بقيت على تحريك تلك الكرة انفصلت عنها حلقة ثانية فثالثة وهلم جرا وكل حلقة تتقطع في دورها الى قطع اخرى وكل هذه المشتقات تأخذ شكلاً كروياً وتدور حول الكرة المركزية

وقالوا من المقرر ان الجسم المتحرك بحركة دورية كلما صغر حجمه اسرعت دورته فما يحدث للسديميات في فقدانها على الدوام من حرارتها بسبب احتكاكها في الفضآت الفاصلة بين النجوم فهي تصغر حجماً بسبب برودتها فتزيد سرعتها فتنشق منها حلقة كما رأيت في تجربة نقطة الزيت وهذا داع آخر لتزداد سرعتها فتنشق عنها مرة ثانية حلقة اخرى وهلم جرا فعلى تلك التجربة الزيتية وبهذا الوجه بني لا بلاس افتراضه وقد كان تصور سديمية حارة بشكل كرة تدور رحوياً على ذاتها فزاد التكاثف في قلبها فصار شمساً ثم انشقت منها حلقة فحلقة على ما عرفت واول حلقة اشتقت من الشمس على هذا القول نبتون Neptune ثم اورانوس Uranus او عُترود الى بقية السيارات وانتهى الامر بعطارد Mercure اقرب السيارات الى الشمس اما

القمر فأصله حلقة انشقت عن ارضنا وتكمشت وبالاجمال ارتأى لا بلاس ان الشمس وسياراتها كانت سديماً كبيراً منتشراً في الفضاء الى ابعد ما يصل اليه ابعد سياراتها ولما برد هذا السديم قليلاً تجاذبت دقائقه نحو مركزها المشترك فدار على نفسه في الجهة التي تدور فيها السيارات حول الشمس واستمرت الحرارة تشع منه فزاد تكاثفاً وصغراً وسرعةً فانفصلت منه حلقات بقوة التباعد عن المركز وتجمعت دقائق كل حلقة بعضها مع بعض فصارت كرة غازية واستمرت على الدوران حول المركز الاصلي ودارت ايضاً على نفسها بتقلصها وانفصلت منها حلقات تجمعت موادها فصارت اقماراً الا حلقات زحل Lesanneaux de Saturne فانها احتفظت بشكلها حتى الآن (ما السبب يا ترى) ومن رأي بعض الفلكيين ان المادة الاولى حجارة نيزيكية صغيرة لا دقائق غازية

هذا لا بلاس وهذه نظريته الرنانة بالتفصيل والاجمال وهي منتقدة مجروحة من وجوه كثيرة

منها ان غازاً لطيفاً بهذا المقدار لا يكون بين دقائقه من قوة التماسك ما يكفي لجعله يدور على نفسه كأنه جسم جامد وان ناموس الاستمرار على الحركة يقضي ان تدور الشمس الآن بالسرعة التي كان السديم يدور محيطه بها حينما كان واصلاً الى فلك نبتون فتكون سرعتها اضعاف ما هي الآن والجذب الذي بين الدقائق لا يكفي وحده لتوليد حركة رحوية كذا في كتاب بسائط علم الفلك اعتراضاً على رأي لا بلاس

ومنها ان الكرة الزيتية التي في تجربة بلاتو تتحرك عند تحريكها بحركة مستقيمة واذا عممت التحريك للحلقات المتقطعة منها تحركت هذه بحركات مستقيمة ايضاً لكن من السيارات ما يخالف ذلك في حركته كالسيار نبتون ومثله المذنبات وفي سنة ١٨٩٨ م اكتشف الاستاذ بكرنج Beckering الاميركي قمراً تاسعاً لزحل مخالفاً في حركته لسيارته وبقية اقمارها حيث يدور من الشرق الى الغرب بعكس دورانها

واكتشفوا بعد ذلك لنبتون قمراً حركته تقهقرية وفي وقت ما كان لابلاس يذيع نظريته كان الفلكيون كما ذكره بعضهم يدرسون حركات اقمار اورانوس واذا بها تقهقرية لا مستقيمة مما اجهز على نظريته وجعلها تقضي نحبها لا الى بعث ونشور

(اذا اردت ان تعرف معنى استقامة الحركة وتقهقرها ارسم دائرة وقف في وسطها فكل حركة تتم من فوق الدائرة من جهة يدك اليمنى الى اليسرى تسمى حركة مستقيمة والحركة المعاكسة المماثلة لحركة عقارب الساعة تسمى حركة تقهقرية وبهذه المناسبة تعرف حركة الارض فأذا درت على ذاتك في قلب تلك الدائرة بحركة مستقيمة مثلت دورة الارض على محورها واذ مشيت على خط الدائرة من اليمين الى الشمال اي بعكس دوران عقارب الساعة مثلت دورة الارض حول الشمس كذا في كتاب من اين جئنا Doù Venons-nous ملخصاً)

ومنها ان السيارات في ظن لابلاس يجب ان تكون في حركتها اسرع من اقمارها والحال ان الاكتشافات اثبتت خلاف ذلك والطرف الداخلي من خاتم زحل اشد سرعة من الباقي وهذا معنى ما جاء في مجلة المقتطف الشهيرة انه اتضح من السبكترسكوب ان الحلقة القربى من حلقات زحل اسرع دوراناً حوله من الحلقة البعدى على ضد ما يقتضيه الرأي السديمي حسب قول لابلاس وقال الاستاذ لابامورو واذ اتبعنا ظن لابلاس واستندنا الى تجربة بلاتو لزم القول بأن الخاتم في زحل لم يكن قط مندمجاً في سيارته ولا هو اشتق عنها اي وهذا غير صحيح فيدل على بطلان نظريته

ومنها ان لابلاس تصور السديمية غازية وحارة وقد برهن الاستاذ Faye فاي على عكس ذلك اي انها كانت باردة وشديدة الاسترخاء والتخلخل واتى بما يفضل ظن لابلاس واحتل بنظريته الجديدة محله كما قاله الاستاذ لابامور

قلت واذ كانت هذه ساقطة كما سترى فمفضولها يجب ان يكون اشد سقوطاً فنظرية لابلاس بالذات وبالواسطة ساقطة وقد قال الاستاذ لابامورو ما نصه وتعريبه

وفي العشرين سنة الاخيرة قد تقدم علم الفلك تقدماً عظيماً فأصبح من الضروري ان يستند اليه كل تفسير معقول للكون ومن ثم يجب ان ننبذ كل مذهب من هذا القبيل مبني على افتراضات مضى عليها اكثر من مائة سنة وعلى هذا يجب ان نتحول عن مذهب لا بلاس مثلاً اذ قد ضل في فهمه للكون وتفسيره له اذ فسره حسب مفهومه انتهى فلا جرم ان انتهضت الحجة والاسباب الكافية للحكم على لا بلاس وانزاله بنظريته عن كرسي القبول والاعتبار وقطع نفسها من الكون واعلان هذا الحكم الذي به تتصلح عقيدة الجماهير من اتباعها

فاي Faye

قال الاستاذ لاباموروما تعريبه ان مذهبه لم يعش طويلاً لفقدانه خصائص اخرى ولما قال اذا اكتشفنا يوماً ما قمراً جديداً لاحدى السيارات فمن المؤكد ان حركته تكون كحركة سيارته في دورانه حولها وقد قلنا انهم اكتشفوا قمر زحل التاسع المخالف في حركته لسيارته وبقية اقمارها فجاء هذا الضربة القاضية على نظريته فتحول عنها الناس

الكولونيل لغوندس Le Colonel R. du Ligondés

بنى هذا الفيلسون مذهبه على ما قاله فاي من ان السديمية كانت في البدء كروية تقريباً ومظلمة باردة وكانت موادها القائمة منها في غاية الاسترخاء والتخلخل وذراتها تتحرك الى كل جهة مستسلمة لكل العوامل وتدور حول نقطة من الجاذبية قائمة في القلب وقال ان السديمية كلها اخذت تتسطح منبسطة بسبب التكاثف ولما اشتد هذا في النواحي المركزية منها تولد النور والحرارة بسبب تساقط ذراتها وتصادمها وهذا هو الدور الاول وفي الدور الثاني اخذ القرص يتقطع الى حلقات

لاشتداد تطاوله ولم تكن الحلقات المشتق منها سيارتنا لتشتق دفعة واحدة بل ان الحلقة الاولى الكبرى كونت المشتري JUpiter وربما عاصر هذا نبتون او لحقه عن قرب ثم اورانوس فزحل ولم تخرج الارض الا الخامسة واتى بعدها المريخ Mars والزهرة Vénus وعطارد وهذا كما ترى نظير ما تقدم لا جديد فيه سوى ما نقلوا عنه انه قال ان الذرات في القطعة المشتقة كان بعضها يتحرك بحركة مستقيمة وبعضها بحركة تقهقرية الى ان تغلب فريق على فريق وجره وراءه نهائياً

لنطرح هذه النظرية تحت الفحص والتشريح ونظهر ما فيها من العلل العابثة فيها فنقول

قوله ان السديمية كانت في البدء كروية تقريباً فيه ان المراد من البدء في العلم القسموغوني هو اول ماعليه المادة من حالة البساطة التي لا يتصور ابسط منها حتى قال بعضهم اذا شئنا ان يكون افتراضاه العلمي مستجمعاً للشروط ومستحقاً لهذا الاسم لزمنا ان نعتبر المادة في حالتها الاولية مثلما خرجت من يد الخالق وبمقتضى علم الفيزيك ان من خواص المادة ان تكون جامدة اي غير متحركة والحركة والسكون عندها سيان ولا ريب ان الكروية نتيجة الحركة وما لم تكن حركة في المادة لا تحدث الكروية فهذا البدء غير صحيح وفي قوله كروية ومظلمة وباردة تناقض ظاهر لان كروية السديمية نتيجة الحركة وبالحركة تتولد الحرارة وبالحري النور وقد قررت الاكتشافات الفلكية ان السديميات كلها لا تخلو من بصيص ضياء فسفوري وتقدم ان الاستاذ هرشل قرر ان الفضآآت محتوية على مواد سديمية سماها سائلاً لامعاً وقال الفلكي الشهير هالي Halley في معرض كلامه عن السديميات ان هذه البقع ليست بالحقيقة شيئاً آخر سوى نورآت من فضاء عظيم جداً قائم في نواحي الاثير L'éther وقال ايضاً على ما نقله الاستاد لابامورو ان في هذه السديمات جواباً كافياً على الصعوبات التي بعثها الكثيرون ضد كلام موسى Moïse (عليه السلام) في وصفه للخلق فقد قالوا لا يمكن ان يتولد النور الا عن الشمس فهذه السديميات تنطق بعكس

ذلك لان كثيراً منها لا يدل مطلقاً على وجود شمس في مراكزها وقد ذكر علماء الطبيعيات ان النور مستقل عن الشمس وينشأ بتموج الاثير فهو ليس بمادة بل حال من المادة وكان في الاصل اما من الكهربائية Electriciié او تكاثف العناصر وانضغاطها لما اخذت ان تترتب وذلك نتيجة الجذب العام وقد ثبت وجود نور غير ضوء الشمس وان له كل الخواص التي يتوقف عليها نمو النبات وان هذا النور وجد في بدء العالمين كما قاله الدكتور كنس Cans اللندني على ما رأيته في بعض تفاسير الكتاب المقدس وقال الاستاذ دانا Dana الاميركي ثبت ان كل ظواهر النور المعروفة نتيجة اهتزاز ذرات المواد على ما تقتضيه خواص المادة بأعتبار تركيبها الحاضر وان نواميس الحرارة والفعل الكهربائي والكيمي متعلقة كل التعلق بناموس النور وهما من اصل واحد وقال جمع ناموس الجاذبية ذرات المواد فظهرت بحك بعضها وضغط بعضها البعض الكهربائية والمغنطيسية Magnétlque وتم ناموس الجاذبية العظيم الذي نشأ عنه النور فكون النور من قبل الشمس من مقتضيات النواميس الطبيعية فبهذا يكون قوله مظلمة وباردة مردوداً وعلماء الفيزيك لا يعتبرون البارد موجوداً بل ان البرودة عندهم انما هي فقدان الحرارة ويفهم بالحرارة حركة الذرات فأذا اردنا ان تكون الذرات باردة لزمنا ان نمنع عنها كل حركة حالة كون الكروية لا تتولد الا من الحركة ولا ريب ان الذرات بأنفاقهم متبعثرة في الفضاء متباعدة فتجمع كمية منها تنقلب الى شكل سديمي كروي مظلم بارد بدون حركة غير معقول وحركة بدون حرارة غير معقولة فقوله كروية مظلمة باردة بارد غير معقول وقوله ان السديمية كلها اخذت تتسطح منبسطة بسبب التكاثف فيه ان التسطح مع الانبساط يكون من دوران المائع على محوره وهذا ما استدلوا به على ان الكرة الارضية كانت مائعاً نارياً بدليل تسطحها من قطبيها وانتفاخها عند خط الاستواء والانبساط والتمدد نتيجة الحرارة المفرقة للاجزاء والحرارة انما تولدت على قوله مع النور بعد ان اشتد التكاثف في النواحي المركزية فقبلها يلزم ان تكون السديمية متقاصة منقبضة لعدم الحرارة والتقلص يمانع

من حدوث هذا التسطح والانبساط مهما اقتضاهما التكاثف وثقل وطأته

على انه لا بد من سبب قد طارد الذرات في السديمية وحصرها تتجمع يركب بعضها بعضا حتى حدث التكاثف فأن كان السبب هو الجاذبية في القلب الذي التهب فيما بعد شمساً قلنا ليس بعض الذرات المتشردة بأولى من بعض فما الذي قهر ما تكاثف بسلطة الجاذبيـة واطلق سبيل الاخري تأخذ حريتهـا الطبيعية فالافتراض كما ترى منتخر من اكثر جهاته

ثم ان ما ابتدعه من الظن الجديد زيادة عن غيره من قوله ان الذرات في القطعة المشتقة كان بعضها يتحرك بحركة مستقيمة وبعضها بحركة تقهقرية لا يستقيم عـلى تجربة بلاتو التي ارتكزوا عليها كلهم على ان التخالف بين بعضها البعض في الحركة لا بد له من سبب طبيعي اذ الفيزيك ينادي باعلا صوته ان المادة بذاتها غير متحركة والفلسفة تنادي بصوت ارفع لا شيء يتحرك من نفسه اذ الشيء لا يكون علة لنفسه بالبداهة فبالحري التخالف بين الذرات في الحركة اذ ليس احداهما اولى من الاخرى بحركتها استقامة وتقهقريا فلا بد من سبب وبالحري ان يعود الامر الى المحرك وارادته ومتى وصلوا الى هذا الحد ووقفوا عند هذه التخوم ارتاحوا واراحوا وقللوا علينا الكلام و كأنه قيل على هذا الكولونيل باية واسطة تغلب فريق من الذرات عـلى الآخر وجره وراءه نهائياً فقال يضرب لذلك مثلاً تصور شارعاً يتقاطر اليه الناس من جهتين متقابلتين فلا بد ان يحدث فيه صدم وزحام واذا اشتد اوقف الحركة وقام منه حاجز واذا بقي تقاطر الناس على حاله من الجهتين اشتد الزحام اشتداداً لا يمكن ان يقاس بالحادث الذي سببه ولا بد اخيراً من استقواء جهة علي اخرى بسبب التفاوت في الاحتشاد من الجهتين فيندفع الجمع الى حيث يكون الضغط اشد وعلى هذا النمط قد جرى الامر في حلقنا السديمية فقد تغلبت الحركة المستقيمة على التقهقرية ولما اشتد التألب في احدي النقط بدأت نواة الارض تتكون و كأن هذا من الكولونل حل لمشكلة طبيعية اوجبها كلامه وهي انه اذا قلنا بعض الذرات متحرك باستقامة

والآخر بتقهقر وحلقتنا كتلة متألفة ومتجمعة من هذه الذرات المتعاكسة بالحركة تعذر والحالة هذه على الحلقة التحرك لوجود التخالف والمضادة بين الحركات في الذرات فتستحيل حركة مجموعها فيحل الاشكال اعتبار التغلب على ذاك الوجه وانما عرفنا ان المتغلب حركة الاستقامة بحركة كرتنا الارضية فانها مستقيمة لكن يقال عليه انه لو حكم الاكتشاف ان الذرات المتألفة منها كرتنا بعضها حركة مستقيمة والآخر حركة تقهقرية لافاد حله المذكور لكن لم لا يجوز ان ما دخل في بنية كرتنا من الذرات هو من نوع المتحرك باستقامة فيزول الاشكال وعلى كل يقال ما السبب في ان بعض السيارات والاقمار المتحركة تقهقرياً لم تتغلب عليها الاخرى وجرتها وراءها كما جرى في سديمتنا واذا كان ذاك لشدة الضغط وكثرة الاحتشاد في جانب التقهقرية كما هو الحال في شارع الكولونيل الموهوم يقال ما السبب في ان الضغط قد يشتد في هذا دون ذاك وسبب اصل الحركة في عموم الذرات يجب ان يكون واحداً لانها انما اخذت تتحرك بعد حالة الجمود كما هو معلوم فيزيكياً تبعاً لناموس طبيعي معين وهو ناموس الجاذبية المفروض في القلب اي مركز النواة وهو الذي اكتشفه الفيلسوف اسحاق نيوتن Nioutin فيما بعد بينما كان يفكر في هذا الموضوع ورأى تفاحة وقعت من شجرة على الارض كما هو موضح في موضعه ونسبة افراد الذرات الى ذاك الناموس واحدة وقياس حالة الذرات المتخالفة في تغلب بعضها على بعض على الشارع الموهوم غير منطقي وغير صحيح لان الدواعي التي تندفع بالناس المتقاطرة الى الشارع من جهتين متقابلتين مختلفة جداً واما الذرات فانما يثيرها من مواضعها ويجعلها تتقاطر محتشدة مزدحمة شيء واحد وهو جاذبية المركز لان علماء الفن فرضوا جملة مراكز للجاذبية في الفضاء منتشره هنا وهناك فابتدأت الحركة ممتدة الى جميع الذرات وابتدأت طرائق التكون للعوالم عندئذ فالجاذبية تضطر الذرات ان تتراكض وتتجمع وتتكاثف في نواحي مراكزها وحينئذ تسألنا الفلسفة لم كان بعض الذرات يتحرك باستقامة وبعضها بتقهقر كما قلنا سابقاً بل تطالبنا الفلسفة عن

الطريقة التي توزعت بها الذرات على المراكز المنتشرة هنا وهناك التي هي مستودعات الجاذبية ولا ريب ان الجاذبية ليست شيئاً مادياً بل هي قوة والقوة لا تقوم بنفسها وليس ثم الا ذرات فهي اذاً في ذرات ولا جائز ان تكون في كل الذرات بالبداهة فاذا لا بد ان تكون في بعض منها بعدد معين ومقدر فيقال ما الذي ميز بعضها بخاصية الجاذبية وجعله متبوعاً وجعل البعض الآخر تابعاً له مقهوراً بسلطته وما الذي قدر وكال الكمية اللازمة من الذرات وعينها واعدها لان تصلح مركزاً جذاباً ولم تعينت هذه دون تلك ولم كانت هذه الحصة من الذرات من نصيب حلقتنا الشمسية دون غيرها طالما نطلب لكل شيء في هذا الكون سبباً والفن اذا قال شيئاً فمن ورائه الفلسفة تسأله عن العلة والسبب اذ الفن يخبرنا عن الشيء ما هو وكيف كان والفلسفة تبين لنا سببه وعلته فهي من ورائه دائماً ولا نرى ان سلسلة الاسئلة الفلسفية تنتهي حلقاتها بحد تقف عنده اذا تابعنا النظريات والافتراضيات القسموغونية وبكل حال فتجربة بلاتو المتخذة مرتكزاً لاكثر هذه النظريات وضجة المشاكل الطبيعية والفلسفية بوجهها تعبث بهذه الجروحات دون ان ينفع فيها مرهم او تضميد والى هنا تأيدت اسباب الحكم وانتهضت برد نظرية هذا الكولونيل وادراجه في زمرة زملائه المحكوم عليهم قبله

تشمبرلين ومولتن

Chamberlain et Molton

لهذين الفيلسوفين مذهب قسموغوني يسمى المذهب المدي ذكره في كتاب بسائط علم الفلك نسبة للمد ضد القبض وخلاصته

ان شمسنا كانت في سالف عصرها قائمة بذاتها خالية من السيارات ثم مرت شمس اخرى على مقربة منها فتجاذبت الشمسان وحصل مد شديد في مادة كل منهما عن

جانبيها فخرجت من جانبي شمسنا مادة تساوي جزءاً من سبعمائة جزء من جرمها وكان من المحتمل ان تعود اليها بعد ابتعاد الشمس الاخرى عنها ولكن تلك الشمس لم تكتف بجذب هذه المادة ونزعها من شمسنا بل دفعتها بجاذبيتها في الفضاء فصارت تحت سلطة قوتين قوة جذب الشمس الاولى لها لارجاعها اليها وقوة دفع الشمس الاخرى لها في الفضاء فسارت بين هاتين القوتين اي دارت حول الشمس كما تدور اذرع السديم اللولبي حوله ثم تجمعت دقائقها وتكونت منها السيارات واقمارها

قلنا مدار هذا الرأي على فعل جسم بآخر عن بعد والاعتماد فيه على قوة الجذب وهو قاصر على شرح اشتقاق السيارات واقمارها من امها الشمس وفيه خرق لاجماعهم قاطبة على ان الاقمار تشتق من السيارات وكل سيار هو مصدر الاشتقاق لاقماره كما وضحته تجربة بلاتو لانه افاد ان السيارات واقمارها تكونت من دقائق تلك المادة الخارجية من جانبي شمسنا بعد تجمعها على ان هذه المادة حين خرجت من شمسنا هل خرجت بحركة مستقيمة فيقال لم اشتق عنها سيارات واقمار تتحرك بحركة تقهقرية وبالعكس وايضاً كيف غلبت الشمس الاخرى جاذبية شمسنا فدفعت بجاذبيتها تلك المادة في الفضاء مانعة لها ان تعود الى مصدرها وما هو السبب الطبيعي الذي يمكن تصوره في ذلك وايضاً بعد ما خرجت تلك المادة قسمين كل قسم من جانب من الشمس كيف التأم القسمان وتجمعت دقائقهما سوية وما الذي جعل احدهما لا يضيع عن الآخر بعد خروجهما على ما بينهما من البعد ورغماً عن تأثير جاذبية الشمس الاخرى ويا ترى ما تفسير الجانبين بالتثنية من الشمس وهي كرة مستديرة وكيف اثرت جاذبية الشمس الاخرى بطرف منها دون غيره على ان ما مر من الاسئلة المارة التي تلحق اصل تكون السديمية وتكون الشموس وحركات الذرات والتي فيها الجاذبية منها دون غيرها ينطرح بأجمعه على هذا المذهب المدي كما انه يخالفه المذهب الثنائي الآتي الذكر المناقض لمذهب لابلاس ايضاً على ما ذكره في كتاب بسائط علم الفلك وكيف اتفق الحال ليس فيه مما مر ما يضطرنا للقول بتولد الارض من الشمس واذا

شئنا ان نحذو حذوه يمكننا ان نقول ان كرتنا الارضية برزت من سديمتها ودارت وهي ملتهبة على محورها قبل ان يبرد سطحها وتحدث قشرتها وقبل ان تحدث شمسنا ثم لما حدثت الشمس وهي ذات جاذبية تفوق جاذبية الارض حتى حصل التنازع في التجاذب بينهما ولولا ضعف جاذبية الارض لحصل بهذا التجاذب ما حصل بين الشمسين على هذا المذهب المدي لكن لشدة ضعفها قهرتها برمتها جاذبية الشمس وادخلتها في دائرة نظامها الشمسي فجاء لابلاس وزملاؤه فظنوها صادرة عنها والى هنا انتهضت الاسباب الكافية للحكم برد دعوى هذين الاستاذين والحاقهما بزمرة المحكوم عليهم من القسموغونيين ونتبع هذا بالبحث في فقرة جاءت في كتاب بسائط علم الفلك في هذا المقام قال الاستاذ مؤلفه

واذا ثبت ان اجرام السماء كلها سائرة في جهتين متخالفتين كجيشين كبيرين وان لهذا الكون حداً محدوداً لان النجوم يقل عددها ببعدها — هذا ما نذهب اليه ولا بد ان هذا الفضاء ما بين الارض والسماء متناه خلافاً لمن قال بلا تناهيه بناءً على اننا كنا نرى بأعيننا بعضاً من النجوم فلما استعملت النظارات ظهرت لنا نجوم اخرى ومن المحتمل ان تظهر ايضاً نجوم خفية علينا كلما ترقت الوسائط فالفضاء لا يتناهى وقد اشبعناه ردوداً في كتابنا البرهان في عقائد الايمان — فهذان المجريان متداخلان وتجري نجوم احدهما بين نجوم الاخرى في جهتين متقابلتين ولذلك لا يتعذران يمر جرم كبير على مقربة من جرم اصغر منه فيفعل بمحيطه فعلاً يديره على نفسه وبذلك يعلل دوران شمسنا على محورها او دوران السديم الذي تكونت منه

قلنا يريد التمهيد الى انه يجوز ان الجرم الكبير يضطر الصغير ان يدور على محوره فيجوز حينئذ ان جرماً كبيراً من الاجرام السماوية قد مر على مقربة من جرم شمسنا الذي هو اصغر منه او سديمها الذي تكونت منه ففعل بمحيطها فعلاً جعلها هي او سديمتها تدور على نفسها فيا هل ترى ابروز شمسنا من رحم السديم مر بها ذاك الجرم العظيم ففعل فيها فعلته بلا تمهل عن بروزها ام كان قد مضى على بروزها زمان

كانت فيه قبل مروره فأن كان الاول قلنا هل كان ذاك الجرم دائراً على محور نفسه حين مروره بجرم شمسنا ام لا فأن كان دائراً احتيج الى جرم آخر اكبر يفعل فيه فعلته وهكذا فلا تقف السلسلة عند حد وانه باطل واذا قلت كان غير دائر رده الفن والارصاد الفلكية وان كان الثاني فهو باطل اذ لا يتصور فاً كرة غازية حدثت من حركات الذرات واصطدامها غير متحركة فهذا الافتراض غير صحيح

Emile Bello اميل بللو

رأي هذا الاستاذ آخر ما في الجدول من الآراء القسموغونية لليوم بحسب ما اطلعنا عليه ومفاد مذهبه ان التكون الفلكي لم يشذ عن ناموس التوالد بين اثنين كالطفل من والديه والبذرة من عضوي التذكير والتأنيث في النبات ولذا سمي بالمذهب الثنائي فتلتقي كرة فلكية بسديم فلكي فينشأ من التقائها او تراوجها شمس وسيارات واقمار اذ الاصطدام والاحتكاك يحدثان حرارة ونوراً واهتزازاً وتفريقاً للمواد فيما جاورها لا سيما اذا كانا سريعين فأنهما يتغلبان على قوة الجاذبية فاذا تولد نجم من اصطدام مادة بأخرى تشظت منهما شظايا وتفرقت حوله فكانت توابع له او سيارات تدور حوله وعلى هذا النمط تولدت شمسنا وتولدت سياراتها وقد ذهب الى ان عالمنا الشمسي جزء صغير من المجرة وان المجرة سديم لولبي كسديم السلاقي — قال في كتاب جواهر العلوم ويقال ان في السماء عشرين مليون نجمة منها ١٨ مليوناً في المجرة التي تسمى بلسان العلماء ابواب السماء وبلسان العامة طريق التبانة وهي عبارة عن منطقة ضيقة بيضاء غير منتظمة تقسم الكرة السماوية الى قسمين متساويين تقريباً على حسب دائرة عظيمة من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي وعرضها متغير جداً ومتفرع الى فرعين يتحدان ثانياً على بعد مائة وخمسين درجة وهذه السحابة قد امكن علماء الهيئة كشف بعض نجومها وتمييزها واغلبها لم يزل مسدولاً عليه حجاب الخفاء وهي في الحقيقة نجوم ولكنها لشدة بعدها تترائى لنا انها منضمة لبعضها على هيئة تكوّن ضوءاً لبنياً

يرى في الليالي الخالية من القمر وعند ما يكون الجو صافياً بل الشمس والسيارات والارض والاقمار وتوابعها عبارة عن جزء صغير من المجرة — وقد تولدت الشمس وشموس اخرى كثيرة من سديم المجرة على مر الدهور وتلخيص رأيه بأنه اذا مرت كرة غازية وصدمت سديماً ارتجفت الكرة وامتدت عند خط الاستواء واذا كان الارتجاف شديداً انفصلت من عند خطها الاستوائي اجزاء كبيرة دارت في السديم وتكوّن من كل منها شكل كالقمع ودار في فلك الكرة الاولى وصار سطح كل منها حلقة زوبعية بدورانها على محورها كحلقات الدخان فمن الكرة الاولى تتكون الشمس ومن هذه الاجزاء وحلقاتها تتكون السيارات واقمارها وعلى هذا النمط كان عالمنا الشمسي

قلنا ما دام يقوم بوظيفة القسموغوني يلزمه اولا البحث في الوالدين نعني الكرة الفلكية والسديم الفلكي قبل التقائهما على وجه يتنزلان به منزلة الذكر والانثى وتلك الكرة ليست الا ذرات اثيرية اكتسبت شكل الكروية وهذا الشكل يتوقف حصوله على الحركة وقبلها ليس هو الا ذرات متخالة متبعثرة فلا بد من سبب لتجمعها وحركتها ليحدث عندئذ ما يسوغ ان نسميه كرة فلكية ولا بد من بيان لتكون السديم الفلكي تكوناً به يحصل الاستعداد الطبيعي للتوليد ثم لا بد في تقرب هذين الوالدين والتقائهما من تصور سبب اندفاع فيهما يستميل كلا منهما لصاحبه فاذا تبين من نتيجة البحث ان هناك سبباً طبيعياً كالهما وزفت احدهما للآخر علة طبيعية للتقرب والالتقاء تمهد الاتلاد بينهما فيتم قياس هذه الحوادث السديمية على ناموس التوالد بين اثنين والا فلا وجه للتشبيه والقياس وايضاً كيف نشأ من التقائهما او تراوجهما على ما قال شمس وسيارات واقمار فان كان لقوة الاصطدام والاحتكاك في دور الشمس زيادة عما في دور السيارات فالذي يزيد دور الاقمار قلنا ما السبب لحدوث هذه القوة وتفاوتها في الادوار الثلاثة وايضاً ليست السيارات من الشمس ولا الاقمار من السيارات لانها بجميعها على هذا الرأي تولدت من التقاء الكرة الفلكية

والسديم الفلكي فاذاً ليست سيارتنا الارض متولدة من الشمس بل هي اختها الشقيقة انحدرتا من صلب واحد ورحم واحد ووالداهما تلك الكرة وذاك السديم وايضاً مرور الكرة الغازية واصطدامها بسديم فرع حركتها الانتقالية وهذه الحركة تتوقف على وجود قوة جاذبة لها وحدوث الجاذبية مبني على تجمع الذرات وتكاثفها في قلب مجتمعها فيلزم من هذا ان الحركة سلبية اي اندفاعية كانت او ايجابية اي اقبالية تتوقف على الجاذبية اذ لا شيء يتحرك لنفسه والجاذبية تتوقف على وجود الحركة ليحصل ما تقوم فيه الجاذبية فيلزم الدور وهو باطل وايضاً الكرة الغازية لا تكون غازية الا بالقوة الميكانيكية اي بعد عمل ميكانيكي عظيم به تتولد الحرارة فيحدث الاشتعال فيبرز الغاز والعمل الميكانيكي في المادة يكسبها قوة بسبب الحرارة والسديم بحالته السديمية مهما كان حاله ليس له متانة نعتبره بها كجلمود عظيم ترتجف الكرة الغازية بمصادمتها له فهذا الفرض ضئيل متداعي البنيان على ان المادة التي هي اليوم في الشمس كانت متضعضعة في السديمية الاولى حيث كانت الذرات في اشد ما يمكن تصوره من التمدد واقل بما لا يحد مما هو عليه اليوم هذا الكوكب من الكثافة فالحال محتاج الى تعليل انقلابها لكرة غازية قبل كل شيء وقبل كل فرض وحينئذ تقصر علينا مسافة التأويلات والافتراضات وتم المطلوب اذ في هذا الانقلاب لا بد ان يحصل تجمع الذرات وتكاثفها فيحصل التصادم بينها فتحصل الحرارة والنور فاحرى حينئذ ان تحدث الشمس وتبرز بدون اصطدام كرة غازية بسديم كما يقوله هذا المذهب الثنائي هذا وقد كانوا يعتبرون ان الشمس جسم ناري جامد لكنما اليوم يقال انها غاز منضغط كثيف فقوله في هذا الافتراض فمن الكرة الاولى اي المرتجفة تتكون الشمس فيه ان المفروض كرة غازية فهي هي قبل الاصطدام وبعده وسبب الغازية ينتهض علة كافية لاتهابها ولم يفدنا افتراض الاصطدام الا في تكوين الحلقات الزوبعية المنفصلة عن الغازية بسبب ارتجافها الشديد لكن المصدر لم يتحقق فلم يثبت المشتق

وبعد فهذه آراؤهم كما رأيت وهذه مستنداتهم في مذاهبهم كما اطلعت قد بسطناها امامك بما لها وما عليها وهي التي يحثو امام هيكلها المتجسم درسة الطبيعيات الاساتيذ والتلاميذ منهم ويجرأون على رد اقوال علماء الدين اذا خالفوها وعلى كل لم نظفر في كل ما اطلعنا عليه من آرائهم التكوينية بما يقطع بان الارض يجب ان تكون مشتقة من الشمس بيد انهم افتكروا فيها هذا الفكر لما اعتبروها منتظمة في سلك النظام الشمسي دائرة حول الشمس مماثلة لبقية السيارات في الادوار التكوينية وكما ان القمر تمركز الارض فدل على انه مشتق منها فلتكن الارض ايضاً مشتقة من الشمس لانها تمركزتها اي اتخذتها مركزاً والاجنبي عن الشيء يكون في الغالب فاقداً للرابطة معه لكن الارض لها رابطة بالشمس فليست الا منها يتوقف وجودها على وجودها قلما كان من الجائز ان يقبل ما ذكر لولا انه من الفرضيات والظنيات المحتملة لخلافها وقد ايد نص الكتاب خلافها وبدء التكوين غيب علينا فالكتاب وحده الحق ببيان الحقيقه ويجب اتباعه ومسئلة دخول الارض في النظام الشمسي منازع فيها قديماً وحديثاً واذا سايرنا يمكن ان نقول على وجه كنظرية لنا التهبت الارض في الاول عند بروزها من سديمية مستقلة بتصادم الذرات على قياس ما قيل في تكون الشمس ثم لما برزت الشمس جذبتها بقوة جاذبيتها الفائقة عليها وادخلتها في الصف الخامس من صفوف سياراتها والجاذبيات تأخذ مفاعيلها بدون توقف على رابطة كتفاحة نيوتن واما مسئلة ان نورها مستفاد من الشمس فيقال فيها انها لما تبرد سطحها الظاهر بمرور الزمان وحدثت قشرتها انطفاء ضوؤها وعمها الظلام فتعوضت بضوء الشمس وقد وجدت في بعض بياناتهم القسموغونية تصريحات تقرب ما اقول من القبول فقد ذكر الاستاذ لابامورو في بيان رأيهم في ولادة الارض انه لما قوي الاصطدام بين الذرات اخذت الحرارة تشتد الى ان بلغت مقداراً عظيما فاحترقت المواد واشتدت في الاحتراق حتى بلغت اشده فانقلب الضوء الضئيل الاولي — اي المنبعث عن المادة الفوسفورية — الى شمس صغيرة تخطف البصر فقد مرت ارضنا

بالادوار التي تمر عليها الاجرام السماوية ولم تكن الشمس قد تكونت بعد حينما كانت الارض تتألق بنور عظيم (انظر الى هـذا التصريح الواضح بتأخر وجود الشمس عن وجود الارض و كفى به تبكيتاً لمن يزعم ان القوانين والحقائق العلمية تأبى ذلك) ولكن هذا النور الشديد لم يثبت طويلاً لان برودة الفضاء تغلبت على هذا الاتون الحقير الصغير كما انها تتغلب على كل شيء حتى على الشمس وبواسطة هـذه البرودة المستديمة قد تمكنت الغازات الاوليـة ان تتجمع من جديد وتتماذج وكانت الكهربائية العامل المتسلط على هذه المواد المتشوشـة المختلطة اختلاطاً لا يوصف وبقيت الارض زماناً تقذف عن سطحها مشاعيل بسبب ما كان في جوفها من القوة الدفاعية ولا يقدر احد يعرف كم دام هذا الدور الاول فقد تعاقبت الالوف والالوف من السنين بل قل الملايين والملايين وهذا الجرم الصغير يقاوم البرد لكن هذا تغلب عليه اخيراً وانتهى تدريجاً الدور الاولي المسمى الدور النجومى فانتشرت على سطح تلك الشمس الحقيرة بخارات ثقيلة من المعادن كلها اكفان سوداء فغطتها بغطاء ابدي من الظلام انتهى . ولا ريب ان هذا نص صريح في رأينا المتقدم وان الارض كانت قبل الشمس ومن عرف منزلة الاستاذ الفلكي الفيلسوف لاباموروا العلمية ومجاهرته بهذه البيانات على مسمع من العلماء يتأيد عنده ما قررناه ويا ترى مـا هو المحظور العلمي من اعتبار استقلالية الارض بسديمية صغيرة تكونت منها على الانفراد ثم التحاقها فيما بعد حين وجدت الشمس بالنظام الشمسي تحت قهر جاذبية الشمس وانحرافها في الصف الخامس من صفوف السيارات بل اية جريمة علمية نجترحها اذا قلنا بما قال ذاك الكتاب ودلت عليه نصوصنا الاسلامية ان الارض وجدت اولاً قبل الشمس ثم جاء المخاض لسديمية الشمس واشتد عليها طلق الولادة فولدت الشمس بجاذبيـة عظيمة اجتذبت كرة الارض الى دائرة سلطانها وقهرتهـا على الدخول في مملكتها وليس في يد الفن من دوامغ الحجج وقواطع الادلة مـا يجبرنا على متابعته وتأويل النصوص الدينية وصرف ظواهرها الى ما يقوله والايام الستة الوارد ذكرها في

النصوص التي جرى فيها خلق الكائنات وان كانت قبل الزمان لكنها تقديرية تقدر بمدة الايام الحاصلة بعد حدوث الزمان المبني على الحركات المحورية والدورانية في السيارات فيقدر اليوم مفروضاً بمدة اربعة وعشرين ساعة كما هو يومنا والقدرة الالهية — التي لا يجوز بحكم كل نوع من انواع البراهين العقلية وغيرها ان تكون محكومة بناموس من نواميس الكائنات التي هي من مبتدعاتها فلا تتقيد بما تقيدت به اعمال البشر من الزمان الذي تستوجبه مدة العمل والتي هي صالحة من حيث انها قدرة الهية لايجاد الكائنات دفعة واحدة في آن واحد في اقل من لحظة — اوجدت ما اوجدته في مبدأ الخليقة ومفتتح التكوين بأقل من اسبوع موزعاً على ستة ايام كما صرح به القرآن وذلك الكتاب لحكمة يعلمها الخالق تعالى وقد قيل من حكمة ذلك تعليم عباده طريق التأني والتدرج في العمل ويجوز ان يكون اليوم من تلك الايام وقتئذ مستطيلاً جداً حتى انه يعد بالالوف من ايامنا الحاضرة ولا غرابة في ذلك فأن سنة زحل على ما ذكره علماء الهيئة تسعة وعشرون سنة من سنينا وسنة اورانوس اربع وثمانون سنة وسنة نبتون مائة واربعة وستون سنة وكسور وكم من نجوم لا نعلم حقيقتها قد غابت في المسافات البعيدة لا يعلم ما سنوها الا مبدعها جل وعلا واستطالة السنة تستلزم استطالة اليوم بنسبتها وهذا لا ينافي الادوار الجيولوجية التي مرت على الارض لانه يمكن اعتبار ابتدائها منذ كانت في الدور الاول كتلة غازية نارية الى ان انتشر قسم من حرارتها في الفضاء فتحولت الى مائع ناري محاط الاطراف بطبقة غازية (وههنا نحتفظ لمسئلة ان السماء عند تكوينها كانت دخاناً ربما يجوز تفسيره بشيء من هذا الغاز في هذا الدور كما سيجيء) ثم طفقت الارض تتناولها بقية الادوار الجيولوجية ولا نرى ان في الفن او في تلك الافتراضيات المستمدة من الحادثات السديمية واندفاق النجوم من احضانها شيئاً يحظر علينا هذا الفكر الذي قلناه على ان تلك المفترضات القسموغونية التي سقناها امامك مجروحة فاً دامية

بالانتقادات الفنية الحقة كما رأيت فيما تقدم وما زال المتأخر من علمائها ينقض رأي المتقدم فما لها من صلاحية ان تنازعنا او ترد علينا قولنا نحن لا ننكر معارفهم الفلكية الراقية المستمدة من الارصاد Observatoirs والصور الفتغرافية Photographie التي مثلت امام اعينهم كثيراً من الحوادث السديمية والموجودات الفلكية تمثيلاً واضحاً والمستفادة من الوسائط الفنية والطرق الهندسية Géométrique التي وقفوا بها على حركات النيرات وابعادها واحجامها لكن نقف في قبول افتراضياتهم عند حد يسمح به العقل والعلم ولا نخسر به ما لا يسعنا الا اتباعه

ونحن الآن لا يعنينا الا مسئلة تولد الارض من الشمس وهي اساس موضوعنا وبما تقدم انتظمت لنا نشيدة الظفر نتغنى بها على ترنمات الادلة بأشهى الطرب وبقوة الدليل قد اخلينا الساحة الفسيحة لنا ولمن يقول بذاك الكتاب المقدس من كل ما يعكر صفونا من تلك الآراء المتبددة لنقول قولتنا بعد ان ننهي هذا الفصل بكلمة عامة نقولها ثم نتابع البحث فيما يعنينا

ان هؤلاء الحكماء من علماء الفلك والطبيعيات يستندون في ابحاثهم ومذاهبهم في تكوين الخليقة الى ما يسمونه العلل الثانية ومن يتعثيرون علمياً بافتراضاتهم ويغلطون اصولياً بتفريعاتهم غلطاً كبيراً اما علماء الدين فيتخذون من تلك العلل والاسباب درجاً وسلماً يصعدون به الى ما هو اعلا من ذلك الى موجد العلل والمعلولات والاسباب والمسببات والنواميس وسائر الكائنات صانع العالم وخالقه الله رب العالمين

لنتصاعد في الاعصر القاصية في التكوينات فنرى ان للمادة حالة اسبق من حالة الغاز اذ الغازية تطلب علة فننتقل الى الحركة في الذرات فنرى ان العلم الصحيح يفيدنا ان الذرات كانت في البدء في حالة السكون ثم خرجت منها الى حالة التحرك ولا جائز ان نقول قد استطاعت في البدء ان تتحرك من تلقاء نفسها اذ القوانين الميكانيكية والفيزيكية تمنع ذلك واذا سلمنا نكون قد سلمنا ضمناً ان ما استطاعته الذرات قبلاً تستطيعه اليوم والحال ان التجربة تكذبه وتبين محاله ولا يقال ان الزمان

حقق ذلك شيئاً فشيئاً لاستحالته لان من خواص المادة ان تكون جامدة نعني انها يستوي عندها الحركة والسكون والجسم لا يقدر ان يغير حالة من تلقاء نفسه ولا ان يزيد شيئاً على حركته اذا كان متحركا والا لاستحالت الحسابات الميكانيكية كما ذكره الاستاذ لاباموروقال واجمع ما شئت من القرون لا يتغير الحكم اذ لا قوة للزمان على ذلك وهو عاجز عن تغيير ذرة واحدة من حالة السكون الى الحركة لانه لا يجوز ان يكون عاملا لاحداث القوة ففي العالم كمية من القوة الميكانيكية ليس باستطاعتنا تغييرها ولا زيادتها والحركة الموجودة في العالم لا يجوز ان تكون ازلية لان من لوازمها التعاقب وهو ينافي مفهوم الازلية وقد يكون ان الله تعالى قد اعطى الذرات المادية حركتها في ساعة خلقه لها بالذات اي خلقها متحركة والمادة لا يمكن ان تكون ازلية لكونها مستقر الحركة ومتغيرة بالضرورة

ففي البدء حدثت المادة وحدث لها ان قبلت الحركة من موجود خارجي عنها وهو الله الذي خلق العالم واعطاه الحركة وما احسن ما قاله بعض اولئك الحكماء اجل انه لمن اعز واجباتنا نحن الواقفين حياتنا على العلم ان نقول بلا ملل على مسمع من الارض وبصرها ان العلم يقود الى الله لانه يبين لنا على طريقة وجود علة اولى اعطت الحركة للذرات كما قال بعضهم ان معرفة الله واحترامه يصلان الى عقلي بطرق ثابتة كالتي نصل بها الى الحقائق الفيزيكية فالعلم يثبت وجود موجود قديم سرمدي وانه المحرك الذي وهب الحركة للمادة بل هو الذي اوجدها من العدم

واذ كانت العقول البشرية ملعبة الاخطاء والاغلاط والجهالات يدل على ذلك ان منها ما قاد الى عبادة الكواكب والاصنام والاحجار والعجول والقردة والنار وعبادة الانسان لمثله واختراع مجموعة الهية ثم تحليلها كالتحليلات الكيماوية الى اجزاء قد يسمى احدها باسم المجموعة وما اشبه ذلك ولم تشأ الرحمة الالهية ان تترك الناس بدون ارشاد وتعليم فارسل الله تعالى الرسل وانزل الكتب فيها تبيان كل شيء فاذا دلت هذه الكتب على شيء بعبارة قطعية الدلالة فلا سبيل قطعاً لقبول ما يخالفها من الآراء

والافكار البشرية ومخالفتها عين الجهل و كفر صراح واذا دلت على شيء بعبارة ظنية اي محتملة للدلالة على خلاف ظاهرها ينظر حينئذ فيما خالفها فان كان مبنياً على دليل قطعي جاز لنا ان نؤل تلك العبارة عن ظاهرها (اذ نعلم حينئذ بحكم ذلك الدليل القاطع ان المراد خلاف الظاهر وان التعبير بهذه العبارة المفيدة لهذا الظاهر المخالف لمضمون الدليل القطعي قد اقتضته حكمة او نكتة كلامية بحسب بلاغة اللغة العربية استوجبت هذا الاسلوب من التعبير المراد خلاف ظاهره) ونفسرها بما يتوافق مع ذلك الدليل كمثل ما جاء في القرآن المجيد في قصة ذي القرنين ورؤيته للشمس عند الغروب من قوله تعالى فوجدها تغرب في عين حمئة اذ من البديهيات ان الوعاء الصغير لا يسع الكبير والا يكون مساوياً له باجرائه وانه محال والشمس اكبر من الارض بمليون ومئتين وتسع وخمسين الفاً وسبعمائة مرة بل قال بعضهم ان الشمس لو قسمت كرات كل كرة منها قدر كرة الارض حجماً لتكون منها مليون وثلاثمائة واحدى وثلاثون الف كرة فمن المستحيل عقلاً غروبها في عين جارية في الارض فسائغ لنا تأويل النص بان نقول وجدها بحسب بصره ورؤيته تغرب في العين كما يراها اهل السواحل الغربية تغرب في البحر ويراها غيرهم تغرب في السهل او في الجبل وان كان ما خالف مستنداً لدليل ظني محتمل الدلالة على غير ظاهره لا سيما اذا كان تخميناً وافتراضياً لا سيما اذا كان مثلوماً بل منقوضاً كمثل اكثر الآراء القسموغونية فلا يجوز والحالة هذه الا متابعة النص ومنابذة ذلك الرأي المخالف

والى ههنا قد مررنا بك على جميع ما وقفنا عليه من تلك الاراء واريناكها كيف انها واهية سقيمة بل متداعية الى السقوط والتهدم لا يجوز ان نقبل كمسئلة علمية فضلاً ان تكون ضد نص ديني معتقداً انه من عند الله تعالى فحينئذ قد سلمت لنا وحدنا مسئلة تولد الارض ان نقول فيها ما يوقفنا عليه الدليل الناهض

الفصل الثاني

ان هذه المسئلة ليست من المسائل الاعتقادية لانها ظنية والظنون لا مدخل لها في المعتقدات الدينية لكنها مسئلة علمية قد تعلقت بها ظواهر النصوص الدينية وتهاجمت على خرق حدودها الافتراضات القسموغونية واجترج الاثم فيها من لا يحترمون او لا يفقهون النصوص الدينية ولا يميزون بين الادلة غثها وسمينها . اولئك الذين يطرح اليهم التقليد الغشيم لافكار الاغيار وهم يبصبصون لديهم بالوصيد بعض فتائت عفنة من المسائل الفاسدة فيتبجحون بها على الناس وبالحري على العلم الحقيقي فصار من الواجب ان نبني الحكم فيها بالنظر الاسلامي لكن يلزم البحث اولاً في وجود السماء لان الارض لم تنكر والسماء انكروا وجودها والمسلم فيهم ذهب في تأويل لفظها الوارد في الكتب السماوية تحزباً لرأي الفنيين واحتراماً لاحساساتهم الى ما لا يرتضيه العلم والنقل فمن ثم نقول :

ان علماء الفلك اليوم انكروا وجود السماء لانهم ما وجدوها بنظاراتهم التي اكتشفت لهم من الكواكب ما يضيع الفكر في ضبط بعده حتى ذكر بعضهم انه لو فرضنا طائراً طار من الارض الى الشمس بسرعة مائة ميل في الساعة واستمر سائراً نهاراً وليلاً صيفاً وشتاء من غير انقطاع ومن غير ان يقلل من سرعته فانه لا يصل الى الى الشمس في اقل من مائة سنة وست سنوات ونحو سبعة اشهر ولو قصد هذا الطائر زحل بهذه السرعة لما بلغه في اقل من ١٠١١ سنة او نبتون اقتضى له ٣١٨٦ سنة وهم لا يصغون الا لمنظوراتهم وحسهم وعللوا ما يرى من الزرقة في الجو العالي بانه نتيجة البعد الشاسع وقد يكون متلوناً في السواحل بالوان البحار او انه ناشيء عن انكسار الضياء في الهواء كالزجاج اذا انكسر يميل موضع الانكسار الى لون الزرقة وهو ما

يلائم البصر من الالوان ومن ثم تموه الجو به وما ثم الا فضاء لانهائي مملوء بالاثير تسبح فيه الكواكب ونقلوا عن فيثاغورس Phiçagorce الفيلسوف الشهير انه كان يعلم تلامذته في مدرسة كروتونيا Crotonia من بلاد ايطاليا على طريقة ان الارض هي التي تدور حول الشمس لا العكس وان هذا المرئي الذي نسميه سماء او فلكا هو فضاء واسع وزرقته ناشئة من اكتناف الاشعة الشمسية للاجزاء الارضية وذلك قبل ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام بمدة خمسمائة ثم جاء بطليموس Pattlimoce قبل الميلاد بمائة واربعين سنة وذهب الى القول بسكون الارض ودورة الشمس عليها واستمر ذلك زمانا طويلا وعليه كان الضارابي من فلاسفة الاسلام في اوائل القرن الرابع من الهجرة ونقل ما ترجم عن الكتب اليونانية من ذلك في مؤلفاته وتبعه بن سينا وغيره ومن جاء بعده وقد قال هؤلاء العلماء ان السماوات اجسام متراكبة بعضها فوق بعض كطبقات البصلة وبالاجمال هي اجرام اثيرية شريفة مخالفة للاجسام العنصرية الارضية في جميع اوصافها وهي التي تدور معها من المشرق الى المغرب وهي دائرة بحركة اخرى من المغرب الى المشرق كنملة على دولاب تسير متجهة الى غير جهة حركته الى ان ظهر من بلاد لهستان رجل يقال له كويرنيكوس Cuirnicoi ونبغ في الرياضيات والرصد والحكمة في القرن الخامس عشر من الميلاد فأيد طريقة فيثاغورس المؤسسة على حركة الارض وان الشمس مركز تدور حولها الارض والسيارات فحكم عليه في مجمع كنيسة روما بالزيغ والالحاد ولو امكنهم قتله لقتلوا ونهوا عن اشهار كتابه الذي ألفه بعنوان (حركات الاجرام السماوية) ومع ذلك شاع هذا المذهب ونسب اليه وقيل هيئة كويرنيكوس ثم قام بعده جماعات في جهات متعددة وازمان مختلفة في انحاء اوروبا وعولوا على هيئة وسموها بالهيئة الجديدة وسموا التي قبلها بالقديمة وفي الحقيقة هي القديمة وتسميتها جديدة اعتبارية ونسبية وهي ترى ان الكواكب الثابتة في هذا الفراغ عبارة عن شموس كشمسنا هذه وكل شمس حولها سيارات واقمار كسيارات شمسنا واقمارها

وكل واحد من هذه السيارات والاقمار وغيرها عالم مثل كرة ارضنا ومن جملة هاتيك الشموس هذه الشمس المعروفة ولها دائرة مخصوصة بها وعدة متعلقات تدور حولها من السيارات ومن جملة السيارات الدائرة حولها هذه الارض التي نحن عليها والقمر ملتزم لها ويدور عليها ومعها حول الشمس وفوق ذلك صفوف دوائر شمسية متكاثرة بعضها فوق بعض الى ما لا يحيط به النظر ولا يدركه الفكر فالسماوات عندهم عبارة عن هذه الدوائر بما فيها من الكواكب الكبيرة ولما درج هذا المدرج المحصلون في المدارس العصرية ارادوا تطبيقها على ما ثبت من كونها سبع سماوات فاخترعوا في التطبيق طريقة صدرت من غير روية وامعان نظر فقالوا ان الكواكب الثابتة سبع طبقات فما كان منها يرى في غاية الظهور والاضاءة فهو الطبقة الاولى وما كان ابعد غير كثير واقل في الظهور والاضاءة بمقدار يسير فهو الطبقة الثانية وهكذا الى السادسة كل طبقة ترى كواكبها ابعد عن التي قبلها واقل منها ظهوراً واستنارة والطبقة السابعة هي التي خفيت كواكبها فلا ترى الا بالمنظرة المعظمة فهذه الطبقات هي طباق السماء وفي قوله تعالى (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) قالوا السماء الدنيا عبارة عن الدوائر الشمسية التي نحن فيها المزينة بما احتوت عليه من السيارة وسيارة السيارة وذوات الاذناب وغيرها من متعلقاتها

قلنا من المقررات المسلمة انه لا يلزم من عدم الوجدان عدم الوجود والسماء متعالية جداً عن ان تبلغها ارقى النظارات المخترعة ومن الجائز ان تكون غير مرئية كما قال به بعض علمائنا ومن الجائز وهو الارجح وبه قال الجمهور ان تكون هي هذه التي نراها ونشير اليها وننظرها بلون الزرقة المتلون به جو السماء الذي قد يتغير بالغيوم والوان البحار واحمرار الشفق وامثال ذلك والهواء يتلون وبالحري الاثير كالماء وما الماء الا هواء متشبع بالمائية على ما قاله بعضهم فالجو بذاته مكتسب لون الزرقة من السماء وهو غير السماء لكنهما بلون واحد فما تقولونه انما هو في هذا اللون الجوي وما يرى فوق محيطات الكواكب والسدام من الجسم المستدير الازرق هو السماء

التي قد جعلكم في شبهة منها الثائرات الاثيرية الزرقاء العابثة بوجه النظارات عند النظر بها فالسماء على ما لها من البعد الشاحط السحيق ترى بالعين الباصرة لعظم جرمها كما رؤيت بعض الكواكب المتنائية لعظم جرمها بل النجوم التي نراها كل ليلة اقرب شاهد مع ما بيننا وبينها من البعد العظيم ولا شيء من هذه الكواكب له نسبة في جرمه يقاس بها على السماء والذي يظهر الجرم ويخفيه في الحقيقة عظمه وصغره لا بعده وقربه الا ترى الميكروبات المائية تخفى عليك لصغرها مع قربها منك والجرم العظيم البعيد يخفى لكونه كلما بعد صغر برؤية الباصرة هندسياً بحسب ما تقتضيه طبيعة الشكل المخروطي للبصر فليس في اليد ادنى دليل مقبول يمنع من القول بوجود السماء بمعناها المعروف والمشهور وقد دلت على تحقق وجودها جملة ادلة متنوعة مع عدم صحة تأويلها بغير هذ المعنى وعدم الباعث للتأويل

فالقرآن وسائر الكتب والصحف المنزلة صرحت بها صراحة لا تصادم بشيء اصلاً وقد استدل القرآن بخلقها على وجود الله تعالى ووحدانيته في محلات متعددة كثيرة والاستدلال بمعدوم غير صحيح ووقوع الخلق على معدوم غير معقول وتأويل الخلق بالتقدير يأباه سياق كثير من الآيات القرآنية الوارد ذكرها فيها وتأويل السماوات بتلك الدوائر الشمسية مبهم وغير صحيح اذ الدوائر المذكورة هل هي الهيئة العارضة لمجرى الكواكب الثابتة التي اعتبروها شموساً بما يدور حولها من السيارات والاقمار فتكون امراً اعتباريا ليس له وجود خارجي ولا شخصية وجودية قائمة بذاتها وما كان كذلك فهو عدم والعدم لا يصح الاستدل به على شيء لكنها قد استدل بها على وجود الله تعالى ووحدانيته وعظمة قدرته فلا يصح ان تكون امراً اعتباريا فلا يصح ان تكون مجرد هيئة اعتبارية ام الذرات الاثيرية المتفرقة والمتبعثرة هنا وهناك في الحصة التي تشغلها تلك العوالم الشمسية من الفراغ وذا غير صحيح لانها ليست بأولى مما تاخمها وجاورها من الذرات التي تسبح فيها كواكب اخرى في تسميتها سماوات ولا وجه لتخصيصها بهذه التسمية دون غيرها على انها ذات فطور وفروج لا تصلح لان

لان توصف بما وصفت به السماء في القرآن المجيد من كونها ليس فيها فطور (فارجع البصر هل ترى من فطور) ولا فروج (او لم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وما لها من فروج) و كونها تنفطر (اذا السماء انفطرت) وتنشق (اذا السماء انشقت) وتطوى (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب) وتكشط (واذا السماء كشطت) اي كشفت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشي فعدم وجود الفطور والفروج فيها لكنها ستنفطر وستنشق وستطوى وما اشبه هذا لا يجوز معه الا ان تكون ذات جلد متماسك الاجزاء ينفطر وينشق وينطوي وينكشط ويئط ايضاً كما جاء في الحديث النبوي الشريف وايضاً قوله تعالى (وبنينا فوقكم سبعاً شداداً) يعني محكمة شديدة قوية الخلق كقوله تعالى (وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً) يأبى تأويلها بغير هذه المعهودة المعروفة كما يأباه قوله تعالى (والملك على ارجائها) وقد ورد انها ذات ابواب مغلقة وستفتح يوم القيامة (وفتحت السماء فكانت ابوابا) وانها ذات حرس يحرسونها وان الشهب ترصد من يقترب منها من الشياطين فتنقض عليه فتهلكه وهذه مسائل لا منفذ اليها الا من طريق النقل من النصوص الدينية لا العقل ومن توقف عن قبولها عناداً كفر وجهلا مؤلا اثم واصلحنا الفاسد من عقيدته وقد ثبت بالنصوص القطعية ان ادريس وعيسى عليهما السلام قد رفعا الى السماء ودلت النصوص الصحيحة على ان نبينا محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة اسري به ليلًا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى عرج به الى السماوات وهناك تلقى في جملة ما تلقى الامر بفريضة الصلوات فهل كان ذلك في طبقات الاثير ام في اي موضع يا ترى . وايضاً ما من مسيحي الا ويقول (يا ابانا الذي في السماء) فهل هو في تلك الطبقات المتبعثرة والدوائر الشمسية لا يقول بذلك عاقل يعترف بالله ورسله و كتبه وبما ذكرنا كفاية في بطلان القول ان الكواكب الثابتة سبع طبقات على اختلافها ظهوراً واضاءة مراعاة لما ثبت ان السماوات سبع لانه اذا كان المراد المجرى

الاثيري الذي تشغله هذه الثوابت فقد تقدم فساده واذا كان المراد انها نفس هذه الكواكب الثوابت ففساده اظهر لان الثوابت اكثر بكثير من هذا العدد ولا وجه لتخصيص بعضها دون بعض بذلك ولان الكواكب عموماً زينة السماء الدنيا وما به الزينة غير المزين ومن السفسطة الضالة قول بعضهم لم لا يجوز تأويلها بشيء من العلويات وكل ما علاك سماء لغةً . قلنا نعم كل ما علاني سماء بمعنى انه يسمو اي يعلو علي حتى سقف البيت حتى ناموسية السرير حتى العمة والقلنسوة والطربوش لكن من المقرر ان اللفظ انما ينصرف عند الاطلاق الى الفرد الكامل بمعناه كالحيوان انما يتبادر منه عند الاطلاق غير الانسان من الحيوانات لكمال معنى الحيوانية فيها دونه حتى لو ناديتك بقولي يا حيوان لغضبت جداً لاختصاص اطلاقه بالبهائم فلفظ السماء انما يتبادر منه عند الاطلاق هذه المعهودة لا غيرها لكمال معنى السمو والعلو فيها لانها اعلا العلويات الجوية والشارع اطلقها على ذلك لذلك والعرب لم تكن تفهم منها الا ذلك ويؤيده قوله تعالى (رفع سمكها) فقد قالوا المراد برفع سمكها شدة علوها واذا قيل انظر الى السماء فانما تفهم هذه المعهودة لا الكواكب ولا الاثير ولا شيء غيرها كما هو شأن المعنى الحقيقي يتبادر من اللفظ الموضوع له عند الاطلاق وقال تعالى (والى السماء كيف رفعت) اي رفعاً بعيد المدى بلا امساك وبغير عمد قاله الفخر الرازي . فلفظ السماء اصبح هو الحقيقة في استعماله بهذه المعهودة وليس هذا التخصيص بالعرف العام فقط بل لكون غيره مهجوراً وغير مستعمل عند ارادة الدلالة على شيء من هذه العلويات التي هي تحت السماء لكن الاساس محفوظ يستعان به اذا قامت قرينة على تفسير لفظ السماء بغير ذلك كما في قوله تعالى (وانزل من السماء ماء) اذ يجوز ان يراد في التفسير السحاب لجواز تسميته سماء لغة لعلوه عنا بان انزل من السماء اليه ومنه الى الارض او اثار الاجزاء الرطبة من عمق الارض فارتفعت ثم نزلت من السحاب مطراً وانظر الى ما يطوف بالاذهان وما يتبادر الى الافهام من كل كبير وصغير وعالم وجاهل وذكر وانثى منذ مهبط اينا آدم عليه السلام للارض الى اليوم فلا يتمثل

الى الذهن عند ذكر لفظ السماء الا هذه المعهودة وعلى ذلك كانت اخبارات الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ولا باعث ولا داعي الى تأويلها بغير ذلك فالسماء هي ما نراه من هذا الجرم العظيم المحيط بجميع ما يعلوه الملون باللون الازرق الذي به نلون الجو المملوء بالاثير وسيأتي ما نريد ان نتبرع به من المسائل المتعلقة بها تتميما للفائدة بعد ايفاء الوظيفة في سبيل الموضوع وههنا نفترق نحن واصحاب ذاك الكتاب المقدس بعد انا متفقون على ان الارض وجدت قبل الشمس وبعد ان زيفنا الآراء القسموغونية المخالفة لنا واثأرنا لذاك الكتاب من الجواب الجرداقي فنرجع نحن الى ما افادته نصوصنا الاسلامية في مبدأ التكوين وبقية المباحث السماوية والجوية ولنا مذهبنا ولهم مذهبهم

الفصل الثالث

مادام البحث قسموغونياً وما دامت ساحة البحث اصبحت خالية لنا وحدنا بعد انثلام بل تهدم تلك الآراء المتقدمة وقد استوقفت المجالات الفكرية العقل عند حد في منتهى شوطه من الادراك عن طريقه لا يستطيع اجتيازه في هذا المبحث فمن اللازم ان نتعالى بالمسئلة الى اقصى ما يمكن معرفته بطريق النقل الذي به نصل الى الحقيقة بكل امن وسلامة من خطر الاخطاء التي لحقت ما لاولئك الفطاحل الحكماء من الاراء ولا بد لنا ههنا من كلمة نقولها اولا لنسطيع ان نفهم ما سيقال لصعوبته على الاذهان التي ما ارتاضت التفهم في النصوص الدينية وبالحري لم تدرس الاصول التوحيدية كما هو اللازم في وقت انها رضيعة الفنون الطبيعية وغذية البانها فالدماغ متشبع بمسائلها التي تعكر على الافهام كل صفاء ديني وتعترضها في طريقها الى الحقائق

نحو الآية الكريمة (هو الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء) فهنا مستوقف مريع تجمد عنده تلك الاذهان عن فهم كيف ان العرش قبل وجود السماوات والارض على الماء وما هو هـذا الماء ومن اين جاء ولم تكن قـد وجدت الارض التي تكتنز الحرارات والرطوبات لتتكون ابخرة تتصاعد فتنعقد سحاباً تعصره الرياح فينهمر مطراً يسلك في الارض ينابيع وانهاراً بل اين مستقر ذاك الماء ولا مكان آنئذ ولاجهة ولا شيء يحمله وهل نفذ هذا الماء ورجع الى العدم ام لم يزل موجوداً فاين هو اذاً وما امامنا الا فضاء لانهائي كما يقولون طافح بالاثير تسبح فيه الكواكب وتعـلوه السماء ولا تسترب يا اخي ان الكثيرين ممن يتلون القرآن المجيد ويتلون هذه الآية منه يمرون عليها مرورا بدون تدبرا ومعرفة بتسديد مثل هذه الاسئلة اذا اوردها احد علماء الطبيعيات ولذلك وجب علينا ان نقـدم قولة تمهيدية هي اساس عظيم في كثير من مثل هذه المسائل فاستمع لي غير ضجر ولا سئيم من تطويل البحث فان المقام من اجل المهام

سبق لنا ان قلنا ان حركات الذرات الميكانيكية في هذا الكون لا يجوز ان تكون ازلية لان التعاقب المنافي للازلية ملازم لهـا والمـادة هي مستقر الحركة ومتغيرة بالمشاهدة فلا يجوز ان تكون ازلية اذاً لا بد من وجود اله عظيم هو الموجد للمادة والمحرك لها فالعلم الصحيح يوصلنا الى وجوب وجود الله تعالى وجوباً عقلياً يمتنع خلافه والبرهان القاطع يثبت لنا ان الله الذي اوجد الكائنات لا يجوز الا ان تكون قدرته عظيمة عامة السلطة والتعلق بكل ما هو ممكن وجائز عقلاً مطلقة التصرف غير مقيدة بقيد ولا محكومـة بناموس والا لحقها العجز وانه باطل فلا تقاس عـلى قدرة المخلوقات ولا على اعمالهم ولا على ما ائتلفته عقولهم وافكارهم واعتادته نفوسهم من الاعمال والاصناع وما لها وفيها وعليها من القيود والشروط والنواميس التي هي اوضاع وقوانين وتراتيب الهية قد رتب الله تعالى الكون عليها فهي قيد للمصنوع لا للصانع ولو تقيدت القدرة الالهية بشيء لما وجد شيء من هـذه الكائنات اذ لا

شيء منها مستقل غير متوقف على شيء اخر فالمتوقف عليه متوقف ايضاً على غيره فيلزم اما الدور او التسلسل وكلاهما باطل فلو توقف وجود الماء في البدء على مستقر ومكان طلبنا لها مستقراً ومكانا فيدور او يتسلسل فقدرة الله تعالى العظيمة غير مقيدة بقيد او ناموس لاسيما في مفتتح التكوين وايجاد الكائنات

انظر الى الجاذبية العامة كيف قهرت ناموس الجسمية وطلبها الاعتماد والقرار على شيء فقامت اجسام الكواكب العظيمة التي هي محار العقول ومدهشتها في الفضاء بدون تعلق بشيء ولا اعتماد واستقرار على شيء فكل دارس للطبيعيات يقول بكل قبول وارتياح ان هذه الجاذبية هي التي امسكتها وتمسكها ان تقع بل اذا نظرنا الى هذا الكون باجمعه القائم المتوازن باوضاعه وحركاته يجوز ان نقول ان ذاك بناموس الجاذبية العام المبهم الذي لم يستطيعوا للآن تفسيره بعد الاعتراف بأن واضعه هو الله تعالى ويجوز ان نختصر بالفكر ونقتصد بالمسافة من فوق العلل الثانية ونقول ان ذاك بنفس قدرة الله تعالى العظيمة ذات السلطة القاهرة على كل شيء من الممكنات بدون توسط شيء فلا ينبغي ايها الدارس للطبيعيات ان يسهل عليك ان تقول بتأثير الجاذبية ويصعب عليك ان تقول بتأثير قدرة الله عز وجل العظيمة التي من بعض آثارها الجليلة هذه الجاذبية التي تقول بها والا فارجع للوراء وصحح عقيدتك الدينية في الله تعالى صانع العالم وعظيم قدرته وتعلم الاصول ثم احضر مجلسنا هذا فلا جرم ان اوجد الله تعالى في البدء الماء متركباً من عنصريه مولد الحموضة او كسجين ومولد الماء هيدروجين اى احدث عنصريه متركبين على سبيل الابداع والانشاء لا من شيء اي من صرف العدم

وهذه مسئلة يتوقف بعض الناس عن قبولها وما ذاك الا عن نزغة مادية وذلك ان الماديين لما انكروا وجود الله جل جلاله وذهبوا الى قدم المادة قالوا بتسلسل الكائنات وان لا شيء من لا شي فأنخدع بهذا من انخدع حتى قال قائلهم لا يعقل وجود شيء من لا شيء وبطلانه ظاهر لانه مبني على الاستغناء عن الخالق وعلى قدم

المادة فمن كان معتقداً بوجود الله تعالى كان معتقداً بوجوب القدم له وان لا قديم سواه وكل ما سواه حادث فلا بد ان يكون كان الله ولم يكن شيء سواه فلا بد من مفتتح لاول موجود حادث برز للوجود ومتى قلنا اول حادث لزمنا القول انه وجد من لا شيء بالبداهة فحدوث المادة وتوحيد الله تعالى بالقدم الذاتي يضطرانا الى الاعتراف والايقان بأن المبدأ والمصدر عدم محض لكن الكيف مجهول لا تتوصل عقولنا الى ادراكه (انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون) وكم اثبت الفن شيئاً لم يستطع تفسيره كالمادة والجاذبية وغيرهما ومن كان مادياً غير معتقد بوجود الله تعالى او كان زائغ الفهم يفسر العقيدة بما يخالف النبوات فموقفنا معه موقفنا مع الملحدين الطبيعيين ولنا موقف راسخ بذلك في كتابنا (البرهان في عقائد الايمان) فبرز للوجود ماء امسكه بقدرته بدون ان يكون مستقراً على شيء كما قد تماسك بذاته الماء الذي تديره بيدك بسرعة وهو في القدح دون ان يسيل ففي الوجهين حصل التماسك وان اختلفت الكيفية واختلف السبب ولولا سرعة ادارة القدح بيدك لاندلق الماء من فيه ولولا الجاذبية بتعبير وقدرة الله تعالى بتعبير آخر لاندلق ذلك الماء الذي عليه العرش الى حيث شاء الله وشاءت طبيعته التي اوجدها الله عز وجل ولا فرق في الحقيقة بين الماء وبين الكوكب السابح في الفضاء في ان لكل منهما ممسكاً يحفظه من الوقوع مع طلب كل منهما بطبيعته الوقوع والهبوط الى الاسفل كما ان الماء الذي في السحاب تراه مستمسكاً فيه حتى تعصره الرياح وما السحاب الا مادة دخانية لطيفة ذات اكر مائية يتألف هو منها ليست بشخصيتها ذات قوة قادرة على امساك الماء دون ان يسيل والشواهد على ذلك كثيرة جداً فاعط الموضوع حقه من البحث النزيه ثم قل فيه قولتك لا انك تفاجئه بالبسر والكلح وتباغته بالازورار والرفض — يقال وجه باسراي منقبض وفعله بسر والكلح من كلح اذا تغير وجهه — فبعد ان اوجد الله الماء قائماً بقدرته خلق العرش عليه اي يعلوه وحينئذ يجوز بناء على حدوث تحرك عظيم به حدثت شرارات كهربائية ان يكون قد حصل زبد ملتهب فيه سخونة

عظيمة وتعالت منه مواد رطبة وحارة فحدث دخان ومنه تصح المسئلة اما الزبد فقد اخذ يتيبس لشدة الحرارة والسخونة التي تطرد الرطوبات فأخذ يحصل الجمد كنظير تجمد الماء في الثلج الاصطناعي ومنه تكونت الارض وابتدعت عناصر المواد التي فيها ومن هنا يقال (سبحان من بسط الارض على ماء جمد) وقد ذكروا في الطبيعيات ان كل جسم غازي كالهواء والاكسجين والادروجين او سائل كالماء والعسل والزيت او جامد كالمعادن يمكن تشكله فيصهر الحديد حتى يصير سائلاً ثم يتبخر وكذا الاكسجين قد يبرد فيصير سائلاً كالماء ثم جامداً كالثلج الا اشياء قليلة لم يمكن ان تصهر كالفحم فليس من بدع ان تحدث وسائط في الماء تجعله يتجمد واما الدخان فمنه حصلت السماوات كما ستسمع

وبالاجمال قام البرهان القاطع على ان الله تعالى واجب الوجود فهو القديم بذاته وصفاته وعلى ان كل ما سواه حادث وجد بعد العدم فكان الله ولم يكن شيء غيره ثم لما اراد ايجاد الكائنات وكان اول ما خلق الماء ثم العرش فوقه قبل كل شيء ثم الارض اي بنيتها ومواد الاشياء الاولية فيها ثم السماوات ثم ما في كلتيهما من الحوادث قال الله تعالى (هو الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء) وفي صحيح البخاري من آخر حديث عمران بن حصين انه عليه الصلاة والسلام قال وقد سئل عن هذا الامر اي عن العالم (كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء) اي ثم كان اي حدث عرشه على الماء فالواو بمعنى ثم ذكره القسطلاني في شرحه على صحيح البخاري ويؤيد ذلك ما جاء في حديث آخر (ثم خلق عرشه على الماء) وبذلك الاشارة الى ان العرش والماء كانا مبدأ العالم حيث خلقا قبل كل شيء وفي حديث رزين العقيلي مرفوعاً عند الامام احمد وصححه الترمذي ان الماء خلق قبل العرش وعند الامام احمد وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه من حديث ابي هريرة (قلت يا رسول الله اني اذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني انبئني عن كل شيء قال كل شيء خلق من الماء) وهذا يدل على ان الماء اصل لجميع المخلوقات

ومادتها وان جميع المخلوقات خلقت منه وروى ابن جرير وغيره عن ابن عباس ان الله عز وجل كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء فلما اراد ان يخلق الخلق اخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما عليه فسمي سماء ثم ايبس الماء فجعله ارضاً واحدة ثم فتقها فجعلها سبع ارضين ثم استوى الى السماء وهي دخان فكان ذلك الدخان من نفس الماء حين تنفس — ذاك ما اشرنا اليه سابقاً من انه حدث تحرك عظيم في الماء تولدت منه كهربائية وحرارة عظيمة وسخونة شديدة فازبد وارتفع منه البخار والدخان فهذا التحرك يفسر به تنفس الماء — فجعلها سماء ثم فتقها سبع سماوات وقال الله تعالى (والله خلق كل دابة من ماء) وههنا نعجب من تفسير بعضهم الدخان بالعماء وبعضهم بالامر الظلماني بداعي عدم وجود مادة نارية ينشأ عنها الدخان وقتئذ بعد تصريح هذا النص المأثور الذي نقله غير واحد وفي تفسير الجلالين تحت قوله تعالى (ثم استوى الى السماء وهي دخان) اي قصد اليها وهي بخار مائي على ان الذي اوجد الماء وانشأه انشاء وابداعاً اوجد هذا الدخان كذلك على ان الذي جعل من الشجر الاخضر ناراً اوجد هذا الدخان من الماء فان من الشجر المرخ وهو ذكر والعفار وهو انثى يتخذ منهما الزند الاعلا والزندة السفلى بمنزلة الذكر والانثى فيسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح نار يوقد منها وعن ابن عباس (في كل شجر نار الا العناب) ولذا يتخذ منه مدق القصارين وفيه قيل

ايا شجر العناب نارك اوقدت بقلبي وما العناب من شجر النار

ومثله تولد الكهربائية من شلالات المياه . وقد ذكروا في الطبيعيات ان الماء بانحداره وهو ما يحصل به الشلال يصير بخاراً اي تتولد منه الكهربائية ويصير بخاراً والبخار ينقلب هواء قد يلتهب فيصبح ناراً فالنور والنار اصلهما الماء ولا استغراب في ذلك الا من قلة العلم فلا يستشكل هذا بقوله تعالى (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) وقوله عليه الصلاة والسلام (خلقت الملائكة من نور) وحاصله ان بدء الخلق كان الماء ثم فوقه العرش وكان ما كان من خلق السماوات والارض فالعرش

كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات وهو اعظمها على الاطلاق ولم يصح نقل في بيان حقيقته فيتعين الامساك لكن قد ثبت انه ذو قوائم وانه يحمله اليوم اربعة من الملائكة ويوم القيامة ثمانية وثبت ايضاً ان الملائكة حافون من حوله يسبحون بحمد ربهم ولا يعلم عددهم الا الله تعالى وخلق الله سبحانه تحته جسماً سماوياً عظيما وسع السماوات والارض يسمى الكرسي ولم يصح ايضاً نقل في بيان حقيقته فالعرش محيط بالكرسي والكرسي محيط بالسماوات المحيطة بالارض وقد اخرج ابن جرير وابو الشيخ وابن مردويه عن ابي ذر انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكرسي فقال (يا ابا ذر ما السماوات السبع والارضون السبع عند الكرسي الا كحلقة ملقاة بارض فلاة وان فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة ومذهب الجمهور تقدم خلق العرش على القلم الذي كتب المقادير وبه جاء الحديث كما في القسطلاني

وليعلم ههنا ان الله تعالى صانع الكائنات ومحدثها يجب عقلاً ان لا يكون مماثلاً لشيء منها من كل وجه ولا شيء من هذه الكائنات الا ويحصره المكان وتحده الجهة وكل مكان محدود وكل محدود ومحصور حادث والله عز وجل قديم فلا يجوز عقلاً ان يكون في مكان او تحده جهة فهذه المنطقة الواسعة العظيمة المبتدأة بالعرش الى السماء الدنيا كون من الاكوان المخلوقة ومكان من الامكنة الحادثة مقر لمخلوق لا لخالق موجدها وقد كان في ازليته ولم يكن شيء منها بيد انه كأن الحكمة اقتضت تصوير ما هو مألوف عند البشر مرتب في الارض من الاوضاع واشكال الممالك فكان العرش والكرسي وما تحتهما كعاصمة يتخذها الملك والسلطان يملأوها بالخيرة البررة من اصفياء خدمته وحشدته وعنها يتلقى الناس الاوامر والنواهي واليها يجأرون ولله المثل الاعلا ليس كمثله شيء وهو السميع العليم

فتلخص مما تقدم ان اول ما بدىء به في الخلق بمقتضى المنقولات والمأثورات الماء ثم العرش عليه ولا ادري هل الكرسي حدث بعده وهو الظاهر ام خلقه في يومي خلق

السماوات ثم ان هذا الماء بحدوث تحرك فيه عظيم حدثت سخونة وحرارة شديدة جعلته يتجمد بزبده ثم اخذت اجزاء مستعدة للاشتعال اوجدها الله تعالى فيه وهو يتجمد تلتهب حتى انقلبت الكرة كتلة نارية سائلة اي صارت الى سائل ناري مائي اي مبيض بالنار بعد الاحمرار المؤثر على الاجرام المذابة فيه بقوة مساوية لقوته الانبساطية ومنها ابتدأت الادوار الجيولوجية قال بعض علمائنا في قوله تعالى (والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور) اي الموقود ناراً يقال (سجرت التنور) اوقدته وهذا البحر المسجور الموجود في باطن الارض المتموج بنار بيضاء بعد الاحمرار وذكر علماء الهيئة الذين بحثوا في الارض على ما تبين لهم ان جميع المواد الداخلة في تركيب الارض كانت اي بعد دور التجمد على حالة غازات وابخرة بتأثير الحرارة الشديدة التي سلطها الله تعالى عليها فلا جرم ان اصبحت الارض مادة غازية ومن المقرر ان الجواهر الصلبة التي تستحيل الى غازات تشغل حجماً اكبر من حجمها الذي تبقى عليه بمرات كثيرة فكتلة ارضنا الغازية الاولية كانت ذات حجم عظيم جداً عن حجم ارضنا هذه وهذه الكتلة التي كانت تتكون منها الارض ذات حرارة مرتفعة جداً كانت تضيء في الفراغ كما تضيء الشمس الآن وكما تضيء النجوم الثوابت والسيارة ليلاً كما مر في كلام الاستاذ مورو ويظهر ان الشمس لما تولدت من سديميتها برزت وهي ذات جاذبية عظيمة قهرت كرة الارض على الدخول في نظامها الشمسي لكن يلزم ان نعتبر ان ذلك حصل بعد ان حدثت السماوات ودحيت الارض بعدهن لان النجوم باجمعها كانت بعد ان كانت السماء لان من جملة مزاياها كونها زينة للسماء الدنيا وما هو زينة متأخر عن المزين كما هو ظاهر وقولهم ان جوف الارض المركزي مائع ناري بدرجة الذوبان بدليل انه كلما تعمقنا نيفاً واربعين ذراعاً ازدادت الحرارة درجة وبدليل مقذوفات البراكين وكثير من الشواهد الجيولوجية فهو متوافق مع ما قاله بعض علمائنا المار في تفسير المسجور ولا شيء في القول به

الفصل الرابع

هل كان تخليق الارض في البدء قبل السماء ام بعدها قلنا هذه مسئلة مختلف فيها بين العلماء ومستصعبة من عهد الصحابة رضي الله تعالى عنهم الى اليوم من حيث مرامي دلائلها النقلية

اذا بحثنا فيها بطريق النظريات التي يتصوغها الفكر من تلمحات هيئة الاحوال الكونية وتلوحات مرامزها وايماآتها كما قد يفهم المرء من حالة مخاطبه وتلاميح وجهه ما لا تفهمه العبارة رأينا ان الهيئة الاجتماعية العمومية لمجموعة السماوات والارض وفحوى السياقات القرآنية في ذكر هذا الكون وما فيه من ارض وسماء ونجوم بمعارض الاستدلالات على وجود الصانع ووحدانيته ومطارح الامتنان وتعداد نعمه على مخلوقاته تدل على ان هذا الكون عبارة عن دار ذات طبقتين علوية وفيها الملأ الاعلا وهم الملائكة وما هنالك من الموجودات وسفلية وفيها الملأ الاسفل وهم الانس والجن وما هناك من الموجودات قال الجاحظ كما نقله الرازي (اذا تأملت في هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منورة كالمصابيح والانسان مالك في البيت المتصرف فيه وضروب النباتات مهيأة لمنافعه وضروب الحيوانات مصرفة في مصالحه) وقال الرازي عند قوله تعالى (يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا) « ما السبب في مورها » قلنا قدرة الله تعالى واما الحكمة فالايذان والاعلام بان لا عود الى الدنيا وذلك لان الارض والجبال والسماء والنجوم كلها لعمارة الدنيا والانتفاع لبني آدم بها فاذ لم يتفق لهم عود لم يبق فيها نفع فاعدمها الله تعالى وقد جاء في القرآن المجيد (وبنينا فوقكم سبعاً شداداً) (اولم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وما لها من فروج)

(وجعلنا السماء سقفاً محفوظا) فهذه البناية السماوية والارضية دار لها علوي وهو السماوات وسفلي وهو الارض وقد اطبقت النصوص واخبارات النبوات انه تعالى اسكن السماوات الملائكة فالطبقتان مسكونتان الى اجل مسمى حتى اذا جاء الاجل بادت هذه البناية بطبقتيها فتمور السماء موراً وتطوى وتكشط وتبدل الارض بمستقر غيرها ولا ريب ان الطبقة السفلى والمسقوف وما هو تحت متقدم بوجوده باصله وبنيته قبل العليا والسقف وما هو فوق فدل ذلك بمجموعه على ان الارض متقدمة في الخلق على السماء

وبطريق المنقول والمنصوص عليه فظواهر الآيات القرآنية في هذا الشأن تدل على ذلك ايضاً كما صرح به في تفسير روح المعاني وغيره ويؤيده ما ورد في المأثورات ويرجحه ما جاء في صحيح البخارى ورواه الحاكم والبيهقي باسناد صحيح كما سيأتي وعليه جمهور المفسرين غير مقاتل كما جاء في حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير القاضي البيضاوي وعليه اطباق اكثر اهل التفسير كما في تفسير ابي السعود ومن اظهر تلك الادلة صراحة مع تكرر النص بان خلق السماوات والارض كان في ستة ايام قوله تعالى في سورة فصّلت

(قل أأنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين * ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض أئتيا طوعا او كرها فقالتا أتينا طائعين * فقضى هن سبع سماوات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم)

بيانه انهم لما كفروا بالله واتخذوا الاصنام آلهة اندادا لله احتج تعالى على بطلان عملهم هذا بالتأثير فقال كيف يجوز الكفر بالله وكيف يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة اندادا لله مع انه تعالى هو الذي خلق الارض في يومين وبقية مصالحها في يومين وخلق السماوات باسرها في يومين آخرين اي ايكفر بالذي له هذه القدرة

العظيمة ليس على خلق الارض والبقية فحسب بل من عظمة قدرته ان خلق ذلك في ستة ايام فمن قدر على خلق هذه الاشياء العظيمة في هذه المدة القصيرة كيف يعقل الكفر به وجعل هذه الاصنام الخسيسة المنجورة والمنحوتة انداداً له في المعبودية والالهية فالمقام فخيم عظيم يقتضي المطالبة بمقتضى الحال فيقضي ان يكون معنى الخلق هنا الايجاد بالفعل الذي به يستعلي المقام بالحجة على اولئك الكفرة لا التقدير او ارادة الخلق كما قاله الكثيرون والا انحط المقام عن مرتبته ولم تنتهض الحجة لان عظمة القدرة انما تظهر بالفعل والعمل لا بالارادة او التقدير بان يقال لتكفرون بالذي اراد او قدر ايجاد الارض وما بعدها فالمقام والظاهر يؤيدان ما ذكرنا اي ان الخلق عبارة عن الايجاد والانشاء كما هو قول الجمهور من اهل السنة والجماعة في تفسير معنى الخلق خلافاً لغيرهم وكلمة « ثم » في قوله تعالى (ثم استوى الى السماء وهي دخان) نظراً لتكررها على هذا النظم كقوله تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سماوات) ولو ورود المأثورات الدالة على تقدم تخليق الارض على السماء يبعد والحالة هذه ان لا تكون للتراخي في المدة وما يعترضنا من الاشكالات في ذلك فمن الممكن حله وتسديده كما ستسمع فعلى ذلك تنجلي بأوضح انجلاء دلالة هذه الآية الكريمة على تقدم تخليق الارض وطالما يمكن تمشية النص على ظاهره لا يجوز صرفه عنه كما هو معلوم ومما استشكل على هذا التفسير قوله تعالى في هذه الاية (وجعل فيها رواسي من فوقها) لاقتضائه تقدم تخليق الجبال على السماء وهي متأخرة عنها ويمكن ان يجاب اننا انما ذهبنا الى تفسير الخلق بمعنى الايجاد مع احتماله معنى التقدير لظاهر الاية ولحديث ابن عباس الاتي مع عدم وجود المانع لان دحو الارض بعد السماء الوارد في سورة النازعات غير تكوين ذاتها وبنيتها كما هو ههنا كما ستعرف فلا داعي لصرف النص عن ظاهره واما كون الجبال بعد وجود السماء الارجح لجملة ادلة منها ما في سورة النازعات المؤيد بحديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فادراجها في هذا الموقع من آية فصلت الآنفة الذكر

المقتضي انها في جملة ما وجد قبل السماء لا بد من توضيحه ومن ثم قلنا ان القدرة الالهية تعلقت بخلق الارض في يومين تعلقاً تنجيزيا فعلياً كما يقتضيه المقام ومثله المباركة فيها وتقدير اقواتها بمعنى المواد الاصلية . واما قوله (وجعلنا فيها رواسي من فوقها) فمن باب تعلق القدرة التنجيزي القديم كما هو معلوم في الاصول وما في سورة النازعات فمبني على التعلق التنجيزي الحادث بايجادها وبهذا يتوافق التفسير مع ما يقتضيه الدليل من كونها متأخرة الوجود عن السماء وعلى ماذكرنا لا يلزم من ذكرها ههنا وجودها بالفعل قبل السماء وذكرت ههنا للدلالة على كمال القدرة مبالغة في الرد على المشركين بعد تمام المطلوب بخلق الارض في يومين . واستشكل ايضاً تفسير الخلق بالايجاد بقوله تعالى (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا او كرها فقالتا اتينا طائعين) بناء على ان الامر للتكوين وان المراد اتيان ذاتهما وايجادهما اذ يلزم عليه تحصيل الحاصل وايجاد الموجود اذا كانت الارض وجدت قبلا لكن ما جاء في حديث ابن عباس الآتي وما ورد في المأثورات المصححة التي لا يمكن اسكاتها والتغاضي عنها الدالة على تقدم خلق الارض والتي يرتكز عليها ويلجأ اليها عند تعدد المحتملات من المعاني في تأييد احدها يميل بالمفسر الى ان هذا من باب التمثيل وان قوله طوعاً او كرها تمثيل لتحتم تأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك بل ذكر غير واحد ان قوله (أئتيا) اي بما خلقت فيكما من المنافع فليس المعنى على اتيان ذاتهما وايجادهما بمقتضى ظاهر الحال والمقال ولعله صار توسيط هذا التمثيل بين خلق الارض والاستواء الى السماء وذكره في جانب هذا الاستواء للاشارة الى توقف ما تأتي به الارض على وجود السماء فالظاهر انه بعد ان خلقت الارض وقدر ما فيها من المواد الاصلية تهيأت لان تأتي بما فيها من المنافع عند وجود الشرط فعند الاستوا الى السماء تم ما هو كالشرط وحصل المتوقف عليه ليبرز ما فيهما بمقتضى ما رتبه الصانع تعالى وسنه فيهما من النواميس فقيل لهما (ائتيا طوعا او كرها) وحاصله ان الارض يتوقف ما فيها على ما في العلويات فبعد ان وجدت الارض جيء بالسماء فتمت اسباب

حصول المنافع وعندئذ قيل فيهما انهما تحت قبضة القدرة الالهية بهذا التمثيل الذي افاد انهما مذللتان لما خلقتا له بتذليل الخالق وتأثيره

ومما يدل على ان خلق الارض مقدم على خلق السماء قوله تعالى (اولم ير الذين كفروا ان السماوات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) على قول الحسن وقتادة وسعيد بن جبير ورواية عكرمة عن ابن عباس من ان المعنى كانتا شيئاً واحداً ملتزقتين ففصل الله بينهما ورفع السماء الى حيث هي واقر الارض . قال الرازي وهذا القول يوجب ان خلق الارض مقدم على خلق السماء لانه تعالى لما فصل بينهما ترك الارض حيث هي واصعد الاجزاء السماوية وقد جعل هذا القول اولى وجوه التأويل حيث اختلف المفسرون في المراد من الرتق والفتق على اقوال . قال ويتلوه يعني في الاولوية الوجه الثاني اي القول بان كل واحد منهما كان رتقاً ففتقهما بان جعل كل واحد سبعاً ويتلوه الثالث وهو انهما كانا صلبين ففتقهما لينزل المطر من السماء ويظهر النبات على الارض قلت وهو قول ابن عباس والحسن واكثر المفسرين فقد قال هؤلاء ان السماوات والارض كانتا رتقاً بالاستواء والصلابة ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات والشجر ونظيره قوله تعالى (والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع) والى هذا قلبي ميال

فالارض متقدمة في الوجود على السماء وما اعترض ذلك فهو مؤول وفي صحيح البخاري عن سعيد بن جبير انه قال (قال رجل لابن عباس اني اجد في القرآن اشياء تختلف علي — يعني لما بين ظواهرها من التدافع زاد ابن عبدالرزاق فقال ابن عباس ما هو اشك في القرآن قال ليس بشك ولكنه اختلاف فقال هات ما اختلف عليك من ذلك — قال فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ؛ واقبل بعضهم على بعض يتساءلون ؛ ولا يكتمون الله حديثا ؛ ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا في هذه الآية وقال « ام السماء بناها الى قوله دحاها » فذكر خلق السماء قبل خلق الارض — يعني قوله تعالى في سورة النازعات « انتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها

فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها » ثم قال – يعني في سورة فصلت –« أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى طائعين » فذكر في هذه خلق الارض قبل السماء وقال تعالى « وكان الله غفوراً رحيما ؛ عزيزاً حكيما ؛ سميعاً بصيرا » فكأنه كان ثم مضى فقال – اي ابن عباس مجيباً عن ذلك – « فلا انساب بينهم في النفخة الاولى ثم ينفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الارض الا من شاء الله » فلا انساب بينهم عند ذلك – اي تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وقال

لا نسب اليوم ولا خلة اتسع الخرق على الراقع

(وليس المراد قطع النسب) ولا يتساءلون (لاشتغال كل بنفسه) ثم في النفخة الآخرة اقبل بعضهم على بعض يتساءلون) فلا تناقض وحاصله ان للقيامة احوالا ومواطن ففي موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عن التساؤل وفي آخر يفيقون فيتساءلون) واما قوله (وما كنا مشركين ؛ ولا يكتمون الله) فان الله يغفر لاهل الاخلاص ذنوبهم وقال المشركون تعالوا نقول لم نكن مشركين فختم على افواههم فتنطق ايديهم فعند ذلك عرف ان الله لا يكتم حديثاً وعنده يود الذين كفروا الاية. وخلق الارض في يومين (اي غير مدحوة) ثم خلق السماء ثم استوى الى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحا الارض ودحوها ان اخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والجمال والاكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله دحاها وقوله خلق الارض في يومين فجعلت الارض وما فيها من شيء في اربعة ايام وخلقت السماوات في يومين (قال القسطلاني والحاصل ان خلق نفس الارض قبل خلق السماء ودحوها بعده) وكان الله غفوراً سمى نفسه ذلك (وهذه التسمية مضت وذلك قوله ما قال من الغفرانية والرحيمية) اي لم يزل كذلك فان الله لم يرد شيئاً الا اصاب به الذي اراد فلا يختلف عليك القرآن فان كلا من عند الله (انتهى) . فتكوين الارض

وتخليقها من حيث بنيتها وشخصيتها كان متقدماً واما دحوها بأن جعلت صالحة على وجه به تمكن السكنى والمعيشة فيها فقد كان بعد وجود السماء لتوقف صلاحها عليها كما يشير اليه قوله (اخرج منها ماءها ومرعاها) فهو في الراجح بيان للدحو لا ان الدحو هو الانبساط والتفسح فيها وبهذا لا ينتهض استشكال مولانا الامام الرازي وجودها اولاً ثم تأخر الدحو لاعتباره ان كبر حجمها العظيم لا ينفك عنه الدحو على انه من الجائز ان حجمها العظيم كان في البدء غير مفروش ذا تضاريس ناتئة متعسرة المسالك كجلاميد القمم من شماريخ الجبال المستعصية على المتسلق او ما اشبه ذلك ولما سويت السماوات دحى ذاك الحجم فكان مهاداً وفراشا فاصطلح للسكنى والدب عليه والمعيشة فيه.

الى هنا تمت صغرى القياس في الاستدلال في دعوانا وذلك ان اساس الدعوى شيئان: الاول بطلان كون الارض مشتقة من الشمس كما يقوله القسموغونيون وقد ابطلنا فيما تقدم مستنداتهم في ذلك وبرهنا على عدم صحة هذا الاشتقاق. والثاني ادعاء ان الارض سابقة في الوجود على الشمس فالقياس منتظم على هذا الشكل:

الارض قبل السماء والسماء قبل الكواكب ومنها الشمس. فينتج ان الارض قبل الشمس. اما الصغرى فقد تم الدليل عليها واثبتناها واما الكبرى فمقررة ايضاً لان الكواكب مما خلقت له انها زينة للسماء الدنيا كجواهر مشرقة متلألئة على سطحها الازرق باشكال مختلفة قال تعالى (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) وقال تعالى (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) ولا ريب ان ما به الزينة متأخر عن الشيء المزين فالسماء قبل الكواكب ان قيل قد ذهب علماء الطبيعيات والقوزموغرافيا ان الارض كوكب من جملة الكواكب السيارة حول الشمس وانت قد قررت فيما سبق ان الارض اجتذبتها الشمس بعد بروزها وادخلتها في العالم الشمسي تدور حولها في جملته وهذا ينافي ان تكون قد وجدت قبل السماء لان الكواكب متأخرة في الوجود عنها

على ما قلته

قلت اولا لا دليل في اليد على اعتبار ان الارض كوكب وكل ما لهم من المستندات فهي من الاقيسة التمثيلية التي لا تثبت حكما كما هو معروف في المنطق وقولي فيما سبق ان الارض يجوز بعد ان وجدت بسديمية مستقلة قبل الشمس ان تكون الشمس بعد بروزها اجتذبتها اليها انما هو من باب المجاراة في المناظرة لاثبات مطلوب او ابطال مزعوم وعلى ارخاء العنان لا ينافي اجتذاب الشمس لها فيما بعد انها كانت من قبل فقد كانت ثم انخرطت في سلك النظام الشمسي مثلاً وثانياً مع عدم وجود دليل ناهض لاعتبار ان الارض من جملة الكواكب وجدت النصوص بظواهرها تأبى ذلك لان النجوم كما قاله قتادة في صحيح البخاري خلقت لثلاث الاول جعلها زينة للسماء كما مر والثاني جعلها رجوماً للشياطين قال تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) والثالث للاهتداء بها قال تعالى (وبالنجم هم يهتدون) وهذه المزايا الثلاث غير متصورة في الارض فلا يصح القول بان الارض من جملة الكواكب وما ثم الا ارض تقل وسماء تظل وكواكب تطل ودع عنك بحراً ضل فيه السوابح ومن هنا ابتدىء بما وعدت من التبرعات فاستمع لي ان شئت .

الفصل الخامس

في امور متنوعة

الامر الاول

لنتداخل في امر هذه المجموعة الكونية السماوية والارضية وننظر اين هي فقد شاع القول بالفضاء اللانهائي فلا بد من التوضيح ان الفضاء اذا كان المراد به ما وراء هذه المجموعة فذلك مما لا ينفذ اليه بحث العقل والادراكات البشرية ولا يعلم ما وراءها الا خالقها عز وجل بيد ان النصوص الدينية تشير الى وجود فضاء والى ان هذه المجموعة واقفة في فضاء لانها تضمنت الاستشهاد برفع السماوات بدون عمد نراها على انها قائمة حيث هي بالقدرة الالهية قال تعالى (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها) فدل على انها في حال تحتاج فيه الى الاعتماد بحسب ناموس الجسمية والثقل الذي وضعه الصانع تعالى ثم هي غير معتمدة على شيء وذلك الحال انما يتصور في الفضاء حيث لا ممسك لها ان تقع الا قدرة الله القدير على كل شيء وقال تعالى (ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا) وظاهر معنى زوالهما عن موقفهما سقوطهما حيث هما فدل ذلك على فضاء فما وراء هذه المجموعة من الفضاء و كيف هو وماذا فيه لا يعلم ذلك الا الصانع الموجد لذلك جل سلطانه وعظمت قدرته واذا قلنا بالجاذبية فهي لا تخرج عن انها من جملة الاسباب التي وجدت بقدرة الله تعالى لا انها بنفسها تقوم بهذه الوظيفة دون قدرة الهية اذ لا شيء مما سوى الله يستقل بعمله استقلالا تاماً من دون الله عز وجل على ان هذه الجاذبية اذا قلنا بها انما تمسك السماء اذا كانت واردة عليها من محل آخر تكون الجاذبية قائمة فيه لانها ليست ذاتاً تقوم بنفسها بالبداهة والشيء الواحد بنفسه تكون

في شخصه جاذبية تجذبه او تمسكه فما لا يعقل لان الشيء لا يكون سبب نفسه بالبداهة لكن ليس من محل آخر له جاذبية تحفظ هذه السماوات ان تقع فلم يصح ان تكون السماء قائمة بمجرد جاذبية ولا ان تكون قائمة بقوة نفسها لانه لم يقم شيء بقوة نفسه فناً ومن ثم ربطوا الكواكب بجاذبية في المركز وان يكن افلتوا المركز عما ترد اليه منه الجاذبية فلا بد من المصير الى قدرة الله ولا بد ان تكون السماوات في فضاء ليظهر الاستشهاد على احتياجها الى ممسك يمسكها ان تقع

واذا كان المراد به اي بالفضاء ما هو محوى بالسماء المحاط بها من كل الاطراف فهو حصة من الفضاء العام اقتطعت منه عند بناء السماء فحصلت تحتها وهذه الحصة شاسعة متمادية الى درجة خدعت علماء الهيئة والفلك واوهمتهم ان لا نهاية لها فهذا الفضاء المشهود له نهاية وحد عند السقف المرفوع

الامر الثاني

هل السماء مبسوطة ام مستديرة . قال الفخر الرازي (ليس في النصوص ما يدل دلالة قاطعة على كون السماء مبسوطة غير مستديرة ودل الدليل الحسي على كونها مستديرة فوجب المصير اليه) وخلاصة بعض ما ذكره من الدلائل ظهور بعض الكواكب واختفاء بعضها ولو كانت سطحاً مستويا لبان الكل للكل بخلاف ما اذا كانت مستديرة فان بعضها يستتر حينئذ بالارض فلا يرى ومثل ذلك ان الشمس قبل طلوعها وبعد غروبها يظهر ضؤها ويستنير الجو بعض الاستنارة ولولا استتار بعض السماء وهو محل الشمس بالارض فلا يرى جرمها وينتشر نورها لما كان الحال كذلك بل كان عند اعادتها الى السماء يظهر لكل احد جرمها وضؤها معاً لكون السماء مستوية عندئذ مكشوفة كلها لكل احد والقمر اذا انخسف في ساعة من الليل في جانب المشرق كان خسوفه في ساعة اخرى قبل تلك الساعة عند اهل المغرب حالة كون الخسوف يحصل في وقت واحد في جميع نواحي العالم والليل مختلف فدل على

ان الليل في جانب المشرق قبله في جانب المغرب فالشمس غربت من عند اهل المشرق وهي بعد ظاهرة لاهل المغرب فعلم ان استتارها بالارض فدل على ان السماء مستديرة قلت لم يبق من احتياج الى كثرة البيان بعد ثبوت كروية الارض واكتشاف قارة اميركا وانها تظل سكانها كما تظل اسيا واوروبا في آن واحد وان وقت الليل فيهما وقت النهار في اميركا وتصريح الفقهاء بان وقت العشاء قد يفقد كما في بلغار (مدينة الصقالبة الضاربة في الشمال) وذلك في اربعينية الصيف فان الفجر يطلع قبل غروب الشفق فيقدر له المكلف بالصلاة وقيل لا يكلف به حينئذ لفقدان السبب وهو الوقت حالة كونه اي وقت العشاء موجوداً في غيرها فقوم في انبلاج الصبح وقوم يصلون فريضة العشاء وهكذا قل في سكنة ما وراء خط السرطان عندما تكون الشمس بحركتها الظاهرة في مدار الجدي وفي سكنة هذا عندما تكون في مدار السرطان وهذه مسائل محسوسة تدل على استدارة السماء كما تدل على كروية الارض معاً ولو كانت السماء غير مستديرة والارض غير كروية لبان الكل للكل دون اشتباه

الامر الثالث

دل النص على ان السماء اصلها من دخان قول تعالى (ثم استوى الى السماء وهي دخان) اذ الجملة حالية وصف وقيد فدلت على ان السماء حين استوى اي قصد الخالق تعالى اليها لاجل تكوينها كانت في حالة دخانية وذلك بعد ما حدثت حرارة وسخونة شديدة في الماء الحادث قبل ذلك بسبب تحركه وتولد الكهربائية المنقدحة من عنصر الاوكسجين فيه فحدث زبد اخذ يتيبس ومنه كانت الارض وارتفعت مواد رطبة وحارة تكونت بخاراً ودخانا جعلت منه السماء كما يستنبط ذلك من المأثورات ويتقارب منه مآل ما يذكر في الدور الثاني الجيولوجي من حدوث الطبقة الغازية وقتئذ وبهذا الغنية عن تأويل الدخان بالسماء او بالامر الظلماني كما علمت فيما سبق ولا يلزم من تكونها من دخان بقاؤها كذلك كما لم يلزم من ان اصل البشر من تراب او من

ماء منحدر من الاصلاب و كون الجان من مارج من نار بقاء ذلك كذلك وكل شيء يتبدل في تولده ونشوه الى اطوار تخرج بشخصيته عما كانت عليه بل يجب ان نعتبر ان السماء ذات اديم متماسك الاجزاء لكونها ليست ذات فطور ولا فروج كما يقتضيه ايضاً قوله تعالى (وبنينا فوقكم سبعاً شدادا) يعني محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الزمان لا فطور فيها ولا فروج كما ذكره غير واحد من المفسرين وتدل آية (وفتحت السماء فكانت ابوابا) وما ورد في قصة المعراج من ان جبريل عليه السلام كان يستفتح في كل سماء فيفتح له ولرفيقه عليه الصلاة والسلام على انها ذات ابواب مغلقة محروسة عندها من الملائكة من هو قائم بوظيفة الحراسة والفتح والغلق بحسب الاذن وانما تفتح كلها ليوم القيامة ولكثرتها تكون السماء كأنها كلها ابواب مفتوحة يومئذ وبعد ذلك تنفطر وتنشق وتكشط فتطوى كطي السجل للكتب لذلك اليوم العظيم

الامر الرابع

دل النص على ان السماوات سبع فيلزم اعتبار هذا العدد وتعيينه وقول الفخر الرازي الحق ان تخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد فيه ان هذا ربما يجوز منطقياً في غير خبر الصادق المعصوم لان ما كان ثمانية هو سبعة مع زيادة واما فيه فالتنصيص على عدد مخصوص يمنع ان لا يكون كذلك والا لم يصدق وانه غير جائز فالثمانية ليست سبعة كما ان الستة غير سبعة فالاخبار عن الثمانية بانها سبعة غير جائز فقوله تعالى (فسواهن سبع سماوات ؛ فقضاهن سبع سماوات ؛ خلق سبع سماوات ؛ وبنينا فوقكم سبعاً شدادا ؛ الذي خلق سبع سماوات طباقا) لا يجوز معه والحالة هذه اكثر من ذلك والعرش والكرسي غيرهن في الحقيقة الشرعية وان كانت اللغة تسمي كل ما علا سماء و كأنه يريد بيان عدم المخالفة بين ذلك وبين قول علماء الهيئة ان الافلاك تسعة لكن ذلك غير صحيح والسماء غير الفلك خلافاً لما يوهمه كلامه فان السماء هي ما

قد علمت فيما سبق واما الفلك فالاقرب للعلم في تفسيره انه مدار الكوكب على حدود منطقته المرتبط فيها بجاذبية المركز سواء كان في اوجها او حضيضها فيسبح في تلك المادة الاثيرية بشكل بيكاري دائر مداره لا يتجاوز الحدود واما البعد بين كل سماء واخرى فلا قاطع في النصوص فالامساك عن التعيين اولى

الامر الخامس

من موجودات السماء البيت المعمور الوارد ذكره في سورة الطور فهو على المشهور في التفسير بيت في السماء العليا حرمته فيها كحرمة الكعبة في الارض وعمرانه بكثرة زواره من الملائكة وصح في حديث المعراج عن انس انه صلى الله عليه وسلم رأى البيت المعمور في السماء السابعة قال (فاذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون) وجاء في رواية قال (فانتهيت الى بناء فقلت للملك ما هذا قال بناء بناه الله للملئكة يدخل فيه كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون يسبحون الله ويقدسونه) ومنها سدرة المنتهى الوارد ذكرها في سورة النجم وفي حديث المعراج المخرج في الصحيحين (ثم صعد بي الى السماء السابعة) ثم قال (ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها كآذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى) وفيما رواه ابن مسعود (انها اليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها) وفي رواية الترمذي (اليها ينتهي علم الخلائق لا علم لهم فوق ذلك) وفيما روي عن ابن عباس عن كعب (واليها ينتهي علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله عز وجل) وعن مقاتل (انها هي شجرة طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد ومنها سكنتهن وهم الملائكة في كل سماء منهم سكنة لا يعلم عددهم الا الله تعالى والقلم وهو يخط ما اراد الله تعالى في اللوح المحفوظ مما كان او هو كائن او سيكون من المقدرات الالهية واللوح المحفوظ وفيه كل شيء مسطور) وعن مقاتل (انه على يمين العرش ولا يطلع عليه الا من اذن له الله عز وجل ولا نص

قاطع في تعيين حقائق هذه المذكورات

الامر السادس

قال تعالى (وجعلنا السماء سقفاً محفوظا) سمى السماء سقفا لانها للارض كالسقف للبيت وقالوا في قوله تعالى (الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء) المراد بكونها بناء انها كالقبة المضروبة او انها كالسقف للارض ويقال للسقف بناء وروي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقدم سبحانه حال الارض لما ان احتياجهم اليها وانتفاعهم بها اكثر واظهر قال في روح المعاني او لان خلق الارض مقدم على خلق السماء كما يدل عليه ظواهر كثير من الآيات انتهى . وفي المحفوظ قولان احدهما انه محفوظ من الوقوع والسقوط اللذين يجري مثلهما على سائر السقوف كقوله تعالى (ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه) وقال (ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره) وقال (ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا) الثاني انه محفوظ من الشياطين بقوله تعالى (وحفظناها من كل شيطان رجيم) قلت الوجه الاطلاق فيشمل الوجهين بدلالة الآيات المذكورة قال تعالى (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) اي سبع سماوات شداد جمع شديدة اي محكمة قوية لا يتطرق عليها شقوق ولا فطور على ممر الدهور الى ان يأتي امر الله عز وجل وقال (الذي خلق سبع سماوات طباقا) يعني طبقاً على طبق بعضها فوق بعض كل سماء مقببة على الاخرى وسماء الدنيا كالقبة على الارض وقال (أأنتم اشد خلقاً ام السماء بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها) قالوا في تفسيرها أأنتم يا منكري البعث اشد خلقاً اي اصعب خلقاً وانشاءً ام السماء اشد خلقاً بناها بان رفع سمكها اي اعلا سقفها وجعل مقدار ذهابها في سمت العلو رفيعاً فسواها فعدلها مستوية بلا شقوق ولا فطور واغطش ليلها اظلمه واخرج ضحاها ابرز ضوء شمسها والارض بعد ذلك دحاها اي بسطها اي كانت غير مدحوة حين خلقت من قبل بان

(اخرج منها ماءها) بتفجر العيون (ومرعاها) اي رعيها وهو ما يأكل الناس والانعام (والجبال ارساها) اثبتها (متاعاً لكم ولانعامكم) اي فعل ذلك تمتيعاً لكم ولانعامكم. وقال (واذا السماء فرجت) اي فتحت او فطرت (فكانت ابوابا) فكانت ذات فروج كقوله (اذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت) فكانت ذات شقوق وقال (فاذا انشقت السماء) فكانت وردة كالدهان كما قال (كالمهل) اي اذا انفرجت فصارت ابوابا لنزول الملائكة فكانت وردة اي فصارت كالورد الاحمر (كالدهان) كدردي الزيت وهو المهل كما في تفسير النسقي. وقال الرازي المشهور انها في الحال تكون حمراء يقال فرس ورد اذا اثبت للفرس الحمرة وحجرة وردة اي حمراء اللون وقد ذكرنا ان لهيب النار يرتفع في السماء فتذوب فتكون كالصفر الذائب حمراء انتهى. والدهان اما جمع دهن او هو الاديم الاحمر وقال تعالى (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا اول خلق نعيده وعداً علينا انا كنا فاعلين) قالوا في التفسير طيها تكوير نجومها ومحو رسومها او هو ضد النشر اي نجمعها ونطويها قال ابن عباس السجل الصحيفة اي كطي الصحيفة على مكتوبها وبهذا يعلم قوله تعالى (والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه) وقال تعالى (يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشي الناس هذا عذاب أليم) المشهور في تفسيره انه يأتي دخان من قبل السماء قبل يوم القيامة وتكون الارض كبيت اوقد فيه وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البغوي باسناد الثعلبي عن حذيفة بن اليمان (اول الايات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر تبيت معهم اذا باتوا وتقيل معهم اذا قالوا) قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال (يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوماً وليلة. الحديث) وقال صلى الله عليه وسلم (باكروا بالاعمال ستاً) وذكر منها طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وقال (والسماء والطارق

وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب) اى المضيء لثقبه الظلام بضوئه فينفذ فيه قالوا والمراد جنس النجوم او جنس الشهب التي يرجم بها ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل وكل ما اتاك بالليل فهو طارق وقال (والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع) قال الخطيب الشربيني اي السماء التي ترجع بالدوران الى الموضع الذي تتحرك عنه فترجع الاحوال التي كانت وتصرمت من الليل والنهار والشمس والقمر والكواكب والفصول من الشتاء وما فيها من برد ومطر والصيف وما فيه من حر وصفاء وسكون وغير ذلك وكثير غيره من المفسرين اورد مثل ذلك في هذا المحل وفي نظائره مما هو مبني على ان الفلك والسماء شيء واحد والحال ان ظواهر الادلة تنظر الى ان السماء غير الفلك وهذا ما يميل اليه القلب بل هو الحق الذي لا يصح غيره والا لاقتضى قوله (وكل في فلك يسبحون) ان تكون السماء اكثر من سبع بعدد السوابح من الكواكب لكن اللازم غير صحيح فالملزوم مثله ولان السماء يجب ان تكون سالمة من الفطور والفروج بالنص حتى يوم القيامة والكوكب يسبح في فلك وبسباحته يحدث خرقاً به تحصل صدوع وفروج وذا غير جائز لان الكوكب دائماً يسبح فدائماً يحدث الفطر وقد قال تعالى (فارجع البصر هل ترى من فطور) اي صدوع وشقوق يريد لا فطور فيها اصلاً فلا يمكن ان ترى فيها فطور دائماً فلو ان السماء هي الفلك والكوكب يسبح فيه لامكن ان ترى فطور فيها لكن التالي باطل فالمقدم مثله وهذا فيما اراه مما لا ينبغي ان يشتبه فيه وان قيل بقبولها الخرق والالتئام لان هذا لا يرفع المحذور ولا تكون به سالمة من ان يلحقها يوماً ما فطور ترى وما تكرر النص بقوله (ثم ارجع البصر كرتين) بحسب ما نفهم الا لتأكيد عدم امكان حصول ذلك وفن الفلك اليوم غير مساعد ايضاً على قبول ذلك كما لا يخفى ومسئلة ان الافلاك تسعه هدمتها لآخر حجر منها الفلسفة اليوم فالسماوات السبع العلا طبقة عليا يسكنها عالم آخر له شؤون واحوال اخرى والارض طبقة سفلى يسكنها عالم آخر بنواميس ونظامات وفي الجو بينهما عالم الكواكب المتنائي في ارتفاعه يسبح في افلاكه في بحر الاثير فما ذكر

من الاحوال في قوله (والسماء ذات الرجع) عائد لحركات النيرات فى افلاكها والذي ينشرح له صدر العلم في معنى (ذات الرجع) ان المراد والله اعلم ذات السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجع الى الارض بمناسبة المقابلة ووجود الرابطة الظاهرة بقوله: (والارض ذات الصدع) اي ما تتصدع عنه الارض من النبات والاشجار والانهار فارادة ذلك امام ما يتصدع من الارض ويخرج منها من كل ما له ارتباط تام وافتقار الى المطر هي اقوى ما ينتهض من الاقوال وقال تعالى (يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار) قالوا التبديل التغيير اما في الذات او في الاوصاف والآية مطلقة و الاخبار في ذلك مختلفة وقد جمع بعضهم بين ذلك بان تبديل السماوات والارض يقع مرتين احداهما تبديل الاوصاف وفي الثانية تبدل ذاتهما وملخصه ان الارض يحصل التغيير اولا في اوصافها وهذا ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض وانما تغير اوصافها وانشد:

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي انت تعلم

فتدك جبالها وتذهب اشجارها وما عليها من عمارة وغيرها وتمد مد الاديم وتسوى حتى لا ترى فيها عوجا ولا امتا. وروي عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يحشر الناس يوم القيامة على ارض بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس فيها معلم لاحد) اخرجاه في الصحيحين والعفراء البيضاء الى الحمرة ولذا شبهت بقرصة النقى وهو الخبز الجيد البياض المائل الى الحمرة كأن النار ميلت البياض الى الحمرة وقوله (ليس فيها علامة لاحد) لتبدل هيئتها وزوال جبالها وجميع بنائها فلا يبقى فيها أثر يستدل به وتبدل ثاني مرة بذاتها فعن ابن مسعود انه قال (تبدل الارض بارض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم تعمل عليها خطيئة وهذه هي ارض الموقف التي تنتقل اليها الخلائق) وقد اخرج مسلم عن ثوبان قال (جاء رجل من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اين تكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض قال هم في الظلمة دون الجسر) واخرج مسلم عن عائشة قالت (قلت يا رسول الله ارأيت قول الله يوم

تبدل الارض غير الارض اين الناس يومئذ قال (على الصراط) فتكون الخلق وقت التبديل على الصراط وبعده يردون الى الارض المبدلة وهكذا يكون التبدل في السماوات فيحصل تبدل بهيئتها واوصافها ثم تبدل بأخرى واليه الاشارة بقوله تعالى (واشرقت الارض بنور ربها الاية) وفي مشارق الانوار قال (اذا اجتمع الاولون والآخرون في صعيد واحد تناثرت النجوم من فوقهم وطفئ ضوء الشمس والقمر فتشتد الظلمة ويعظم الامر ثم تنشق السماء على غلظها وصلابتها فتسمع الخلائق لتشققها صوتا عظيما فظيعا تدهش لهوله الالباب وتخضع لشدته الرقاب ثم تنزل ملائكة سماء الدنيا في الغمام فيحيطون بالانس والجن وغيرهم ثم ملائكة السماء الثانية خلفهم دائرة ثانية فيحيطون بالجميع ثم ملائكة السماوات كذلك حتى تكون الملائكة سبع دوائر بعدد السبع سماوات ثم تطوى السماوات كطي السجل للكتب ثم تسيل كالمهل وهو النحاس المذاب ثم يتغير لونها حتى تكون كالدهان ثم تصير دخانا ويذهب في علم الله والله الاعلم) وقال تعالى (ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين) وقال تعالى (والسماء ذات البروج) فعلى ما قررناه فيما مر تفسر السماء ههنا بالجهة العليا في جو السماء لان البروج على الرأي الرياضي القديم النجوم الكبار وعلى فن الهيئة الحديثة اليوم البرج هو اسم لهيئة متشكلة من اجتماع بعض الكواكب في صورة معينة وعلى شكل قد يشبه بعض الحيوانات وتسمى باسمه كبرج الاسد والجدى والثور والدب الاصغر والدب الاكبر والنجوم انما هي في الافلاك حيث تسبح والفلك غير السماء كما عرفته لكن التعبير قد يلحق الظواهر المنظورة فتضاف العلويات الى السماء ومن اشهر البروج برج الحمل والثور والجوزاء وهي منازل الربيع وتكون الشمس في الاعتدال الربيعي على ما هو المشهور في ٩ مارت والسرطان والاسد والسنبلة وهي منازل الصيف فتكون الشمس في الانقلاب الصيفي في ٨ حزيران والميزان والعقرب والقوس وهي منازل الخريف فتكون الشمس في الاعتدال الخريفي في ١١ ايلول والجدى والدلو والحوت وهي منازل الشتاء فتكون الشمس في الانقلاب الشتوي في

٩ كانون اول وهي اثنا عشر برجا عبارة عن مدار الشمس الظاهري لانها تتحرك كل يوم على غير الخط الذي تحركت عليه قبله فهذه المنطقه التي تجري فيها الشمس في مدة سنة المتألفة من جملة مجموعات كوكبية معينة تسمى منطقة البروج الاثني عشر كما ترى في هذا الرسم (شكل ١)

الامر السابع

في الشهاب

قد ذكرنا فيما سبق ما جاء في الصحيح عن قتادة (خلقت النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها) وبذلك ذكرها القرآن المجيد وانها مجعولة لذلك فالنجوم على ماللشؤن السفلية من الارتباط بها حتى لو اختل كوكب منها في حركته اختل نظام الكون مما جعلت له انها رجوم للشياطين منعا لها عن الاسترق لخبر امر سيحدث في الارض تتحدث به الملائكة في السماء الدنيا فقد دلت الماثورات والمنقولات على ان الخبر عما قاله الله تعالى وقضاه ان يكون في الارض قد تتحدث به ملائكة السماوات فتتلقاه ملائكة كل سماء عما فوقها الى ان ينتهي الى السماء الدنيا فيتخطفه الشيطان فيلحقه شهاب ثاقب يهلكه والشهاب لغةً شعلة من نار ساطعة كما في القاموس واليه يؤل ما قيل في الطبيعيات انه بخار ملتهب فهو قبس من نار الكوكب يلتهب به الشيطان الذى يخطف حديث السماء والقبس والشعلة من النار تنفصل عنها وهي على ماهي عليه فلا يلزم النقص في اجرام الكواكب كما توهم واذ كان الشهاب قائما بالكوكب وعنه يحدث قيل للكواكب شهبا واذ كانت النجوم مجعولة في خلقتها لهذه الوظيفة في ضمن وظائف اخرى منذ ابتداء الخليقة والشياطين طائفة من الجن نارية بفطرتها مردة اي مستعصية متمنعة عن الطاعة شرار تندفع بطبيعتها الى ما

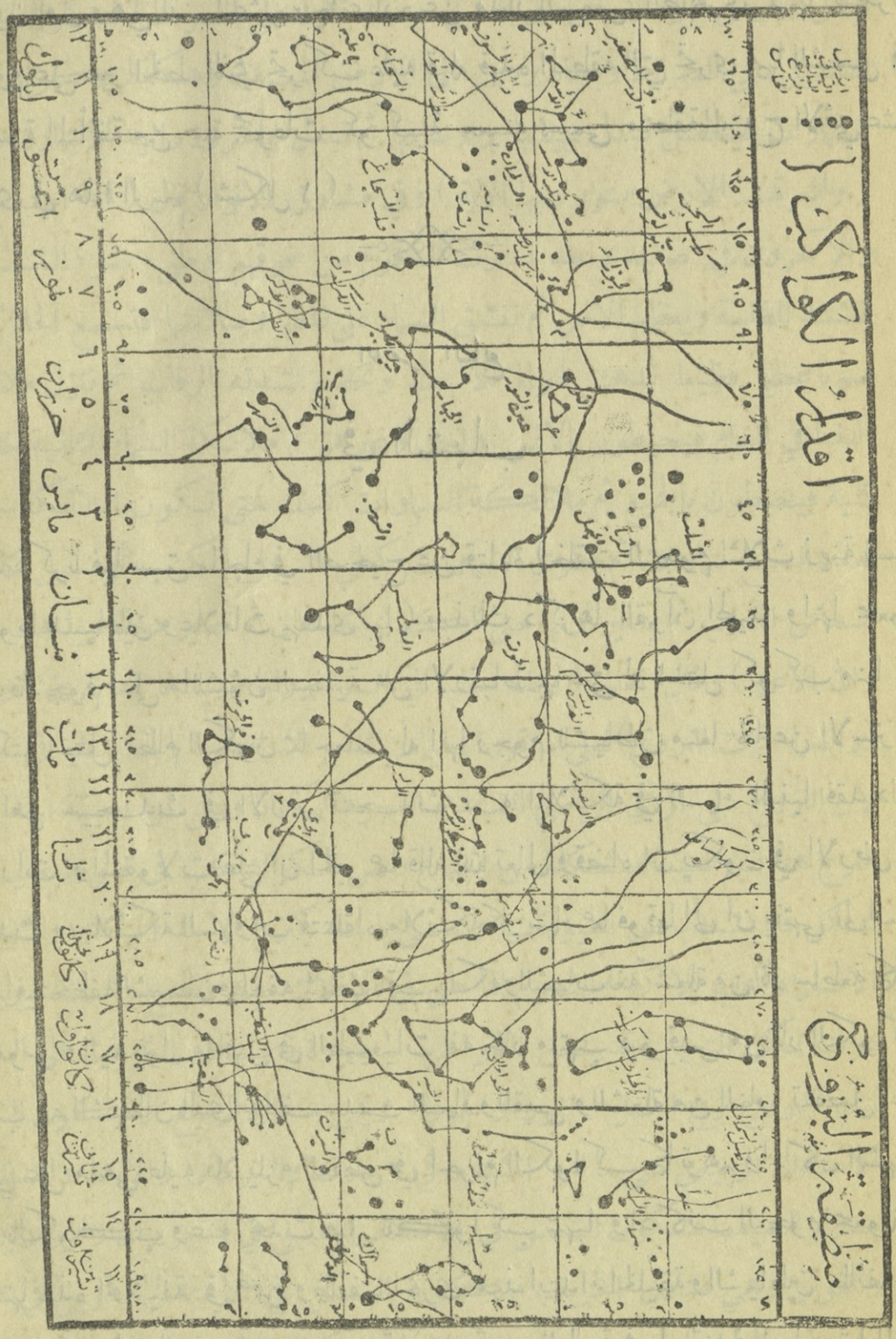

(شكل ١)

فيه الفساد والطغيان على العكس الكلي للملائكة الكرام عليهم السلام فهذه الحادثة الشهابية واستراق السمع عن السماء الدنيا يقتضي ان تكون قبل الاسلام منذ انفطرت السماوات والارض ومن عليها من الانس والجن والشياطين وقد علمت فيما سبق ان السماء ذات اديم صلب فيها ابواب عليها حرس من الملائكة للفتح والغلق لمن أذن له الله عز وجل كما علمناه من النصوص الدينية التي اختصت بهذه المسائل ومن طريقها لا من طريق العقل تعرف هذه المعلومات فقد كانت الشياطين منذ الابتداء تتعالى الى نحو السماء الدنيا فتسترق الحديث فتهبط به وقد اضافت عليه من مفترياتها واكاذيبها على الكهنة والاصنام فيظن الناس فيهما علم المغيبات وههنا الفتنة العظمى ولايعلم الحكمة فيها الا الله تعالى حتى اذا بزغت شمس الرسالة المحمدية المختصة من المواهب الالهية بالرحمة العامة للعالمين انجلت الغياهب بانوار الاسلامية ومنعت الشياطين عن هذا التجسس والاستراق الا شيئاً من خلايا الحرس فيتبعها حينئذ شهاب ثاقب اي يثقب الجو ويشقه فيلهبها ويهلكها فهذا الرجم كان من قبل الاسلام وانما الزيادة في الحرس والتشديد في المنع عن الاستراق كان بعده والمحذور وفساد الاستراق باق حتى قيام الساعة فرصد الشهب ايضا مستمر دفعا لتلك الفتنة الهائلة عن الامة المحمدية عموما والمؤمنين منها خصوصا قالوا في الرياضيات ان حقيقة الشهب على مايظن شذرات من بعض السيارات ذات الذنب بتماسها للهواء تنقلب وهي محترقة الى غاز ومع هذا قد يسقط بعضها الى سطح الارض فيقال له الحجر السماوي او (بوليد)

قلنا لا يبعد ان تكون الشعلة عن الكوكب المسماة شهابا فيها ما في الكوكب من العناصر حتى اذا بردت تحجرت فهي تحرق الشيطان وتسقط الى الارض لكنما كثيرا ما رصدت في المراصد الفلكية فوجدت ان منها ما يغيب ويضيع في جو السماء وهو الغالب ومنها ما يصير حجرا سماويا فمن الجائز ان ما يغيب ويضيع هو شهابنا الراجم الذي هو موضوع كلامنا وما تحجر فهو نتيجة تلك الشذرات التي تنقلب وهي

محترقة الى غاز والله الاعلم قال الله تعالى (والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب السماوات والارض وما بينهما ورب المشارق انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملأ الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب) من اساليب القرآن المجيد التي تختلب الالباب وتستنبه الفكر وتستلفت النفس لاستقبال ما سيتلى في تقرير المطالب والقضايا العظيمه وتخضيع القلوب بالاذعان اليها ان يتقدم في الكلام الامر العظيم بقسم بشيء عظيم يدل على حقيقته وتأكده مطابقة لمقتضى الحال ففي هذه الآية الساطعة البيان استأصل المؤكدات التي تستعملها بلغاء العرب في تقرير الوحدانية لله تعالى بكلمة ان واللام في خبرها واسمية الجملة والقسم بالعالم العظيم العجيب الكافي وحده في اثبات الوحدانية عالم الملائكة الصافات يصفون كصفوفنا للصلاة كما اخبر عنهم انهم قالوا وانا لنحن الصافون الزاجرات بحسب الوظيفة تزجر ما تسوقه من السحب التاليات لذكر الله عز وجل واشفعه بنبذة اخرى من شواهد الوحدانية الحقة بكونه رب السماوات والارض وما بينهما مما اشتمل عليه جو السماء ورب المشارق اي والمغارب كما قال في آية اخرى (فلا اقسم برب المشارق والمغارب) اي مشارق الشمس ومغاربها وهي ثلاثمائة وستون مشرقا والمغارب مثلها تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين مترددة الجري بين مداري السرطان والجدي في رحلتيها الصيفية والشتوية وباعتبارهما جاء قوله تعالى (رب المشرقين والمغربين) بالتثنية واما قوله تعالى (رب المشرق والمغرب) فباعتبار اصل الجهة ولكل مقام مقال ثم زاد البرهان دموغا فقال (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) فالكواكب انما هي لهذه السماء الدنيا فحسب بالنص زينة لها لتكون بهجة للناظرين من سكنة الارض وحفظا لما تتحدث به ملائكتها من الامر يحدث في الارض من كل شيطان مارد اي مستعص عن الطاعة لكيلا يسمعوا ما يتحدث به الملاء الاعلى سكنة

السماء فهم يقذفون ويرمون من كل جانب من جوانب السماء بمعنى ان كل جانب هو رصد تقذف الشياطين منه لا انهم يقذفون دفعة واحدة من كل الجوانب فالسماء محفوظة الحديث من الاستراق من كل جوانبها غير خلايا من بعض الانحاء يخطف الشيطان فيلحقه الشهاب الثاقب فيهلكه والشياطين مع مشاهدتها هذا الحرق والاحتراق للمسترق منها تطلب دائما الاستراق باندفاع طبيعي وفطري على رجاء النجاة

وقال تعالى حكاية عما قاله من استمع من الجن القرآن المجيد من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا نقعد فيها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) يقول انا لمسنا يعني طلبنا اذ اللامس طالب وبالعكس السماء اي الدنيا علي عادتنا لاستراق حديثها فوجدناها على خلاف ما عهدنا سابقا وجدناها ملئت حرسا شديدا اي زيدت في حرسها عن ذى قبل حرسا له شدة وشهبا تقذفنا فتحرقنا فهذا القذف والرجم لمنع الاستراق قد كان من قبل وانما بعد ظهور الاسلام ازداد المنع بازدياد الحرس غير انه قد يتلصص الشيطان فيخطف الكلمة لكن لا يفلت ان يلحقه الشهاب فيهلكه

ان هذه مسائل لا منفذ اليها من طريق العقل والفن تابع ابدا لمنظوراته فلا يرى ههنا الا شيئا كالذنب مستطيلا في عرض الجو مستضيئا فما امامه الا ان يقول ان هذا لا بد ان يكون شذرة من كوكب انفرزت عنه فالتهب ما هناك من البخار فانقلبت غازا وهذا هو الشهاب والنص الديني هو اعلم من الفن ومنطقته بالمعلومات اوسع بكثير فهو يقول ان ما تشاهده ايها الفني هو شعلة صدرت عن الكوكب سرعان ما تنطفيء والشذرة من الكوكب معناها القطعة منه واذ كان الكوكب من حيث هو كوكب دائم التشعع لا ينطفيء فمن المقتضى كان ان لا تنطفيء الشذرة والواقع خلافه بل كان من المقتضى ان تتخذ هذه الشذرة التي سموها شهابا الكوكب الذى انفصلت عنه مركزا لها تدور حوله بالجاذبية كما اتخذت الارض ورفيقاتها

الشمس مركزا لها بعد ان انفرزت عنها ولا يمكن ان يكون بين ذاك وهناك من فرق فهي حادثة من الحوادث التي لا تطولها ابحاثك فالبث واقفا عند حدك على ان المصدر واحد على القولين وينفرد النص الديني بما لا يستطيعه الفن بانه ليست هذه الحادثة مجرد ظاهرة من الظواهر الفلكية بل هي لوظيفة جليلة هي رجم من يريد استراق السمع من الشياطين فدع عنك بحراً ضل فيه السوابح وكم للصانع الحكيم عز وجل في مملكته الكونية شؤون وحكم يكبو فكر البشر في أول خطوة دون ادراكها فلا تطالب نفسك لكل فعل من افعاله تعالى بحكمته وما للخنفساء محاسبة لقمان في حكمته

الخاتمة

وفيها مقدمة ومسائل

المقدمة

قد يشحط التعصب والتقصير في العلم ومعرفة الاصول الدينية بالبعض باسم التورع في التدين الى التجافي عما يذكر في الطبيعيات والفلكيات من الاسباب والعلل في تكون الحادثة الطبيعية او الفلكية وبعض المسائل الرياضية فيشوهون جمال الدين والعلم ويصورون الاسلامية كشبح اجوف خال من الروح ومن لي بان يحجر على هؤلاء القاصرين وتنتقى تلك الاعشاب الهشيمة من حقلة الحقائق العلمية النضيرة بل ان يردوا بالسياط الى معاهد العلم ليكملوا تحصيلهم خصوصا في هذا العصر الراقي كبير الدماغ حديد الذهن الذي حارب الاوهام والخرافات فقتلها على اعتاب العلم وفي الحقيقة هو ذاك الدين الاسلامي العظيم الوضاح الجبين الذي جلى الحقائق الحقة ومحى ظلمات الجهالة والضلالة ورفع درجة العلم والفضيلة فكان لهما السلطان السائد في الناس وملؤه حقائق وفلسفة وقواعده الثابتة السامقة ممهدة لقبول كل ما يثبته العلم الصحيح فبعد الاعتراف بالله تعالى ووحدانيته الحقيقية وان لا استقلال ولا استغناء لموجود ما في هذا الكون عن الله عز وجل فليقل العلم ما شاء ان يقول ومتى صدق النظر وصح العلم استنار الطريق الى الله وتوضحت الشواهد البينة على عظمة قدرته وهذا مما يرمي اليه القرآن المجيد في الامر بالنظر الى السماوات والارض وما بينهن وما فيهن ليكتسب الناظر بذلك فكرا منطقياً يوصله الى الاعتراف بوجود الله ووحدانيته بوحدة حقيقية بكل فحواها وبدون تأويل ولا تحريف في معناها فالعلم الصحيح هو السبيل القويم لاكتشاف الحقائق ومعرفتها وبالعلم استطعنا ان نحقق بعض معاني ما جاء في الآيات القرآنية ومنها قوله تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء

والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) وبالعلم والحساب والجبر والهندسة وبغير ذلك من الوسائط الفنية قد عرف علماء الفلك كثيرا من المسائل الفلكية التي قد يتوهمها الجهلة علماً بالغيب

تعال معي ايها النشيط لنطوف حول هذه البناية الكونية وامامنا ما جاء به القرآن المجيد من الآيات في ذلك وبيدنا ما قاله الفلكيون في منظوراتهم الفلكية وما اوقفتهم عليه منها مناظيرهم المجسمة فنرى ان مباحث اولئك العلماء على نوعين احدهما ما يتعلق باقدار الكواكب وابعادها وحركاتها والكسوف والخسوف وامثال ذلك وهذا مبني على اسس حسابية وهندسية يندر الخطأ فيها منها قياس الزوايا فاذا اردنا ان نعرف بعد شبح عنا نظرنا الى نقطة منه من مكانين مختلفين وقسنا الزاوية بين خطي النظر وطول الخط الذي بين المكانين فيعلم بعد الشبح بسهولة وللفلكيين مقياس اخر وهو المسافة التي يقطعها النور في سنة من الزمان فانه يقطع نحو ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية من الزمان ويصل الينا من الشمس في ثماني دقائق لان بعدها عنا ٩٣٠٠٠٠٠٠ ميل فيقطع في السنة من سنينا نحو ستة ملايين مليون ميل فهذا هو المقياس الذي تقاس به ابعاد النجوم وسنته تسمى سنة نورية فاذا قيل ان النجم الفلاني يبعد عنا نحو اربع سنوات اريد انه يبعد عنا اربعة اضعاف المسافة المذكورة آنفا او نحو اربعة وعشرين مليون مليون ميل

وحاصله انه بالارصاد والحسابات والبراهين الهندسية والصور الفوتغرافية قد توصل المتأخرون من علماء الفلك الى مسائل عظيمة في بابها لا ينبغي ان يستراب فيها اصلا واذا هم اخبروا عن وقت الخسوف قبل وقوعه فبالحساب والعلم الحاضر لا بعلم الغيب وقس على ذلك فليسكت عنا الجاهلون ولا يعكروا علينا بلغطهم ذاك الصفاء العلمي الرائق وسبحان من علم الانسان مالم يعلم . وثانيها ما يقررونه من المسائل بقياس التمثيل ومما قد يتراءى في سطوح السيارات بالمناظير المجسمة كمثل وجود جبال وترعات وانها آهلة بسكان وامثال ذلك فبهذا لا ننكر عليهم مساعيهم

العلمية وجهودهم في استطلاع ما في تلك الاجرام النيرات لكنه تظنن واهن لا دليل في يد الفن يجعلنا نقبله والنصوص الدينية لاترفضه ولكنها تنبو بظواهرها عنه فان المشاهدة و فحوى الهيئة الاجتماعية لهذه البناية الكونية مع ظواهر تلك النصوص نفهم منها ان الله تعالى اقتضت حكمته وجود مخلوقات له منها ما هو مقصود بالذت وهو ما له عقل وادراك وهو الملائكة والانس والجن فخلق لهم هذا الكون سكنى لهم دار ذات طبقتين علوية وسفلية وجعل الاولى مسكنا للملائكة وهي بمجموعها ذات طبقات سبع جعل الطبقة الدنيا منهن سقفا مرفوعا للثانية فيه كواكب ومنها الشمس كوكب النهار العظيم ومنها القمر كوكب الليل وبقية الكواكب للاهتداء بضوئها وبمواقعها في ظلمات البر والبحر وللزينة والرجم كما عرفت وهذا ما علمناه لها من الوظائف فنقف عنده حتى يقوم دليل غيره يعرفنا بوظائف لها اخرى زيادة عن هذه فالارض التي هي الطبقة السفلية مسكن للانس والجن فيها كل ما يحتاجانه ومن فوقها السماوات وهي الطبقة العليا مسكن للملائكة وجعل السماء المحيطة بالارض ذات نجوم و كواكب منها الشمس والقمر لمنافع الارض وفي جوها تحصل حادثات السحاب والرعد والبرق والصواعق والامطار والابراد والثلوج وجعل النهار للسعي والعمل والليل للاستراحة لاجل معلوم ووقت محدود فاذا جاء الاجل وحان الوقت نقضت هذه البناية من اساسها بارضها وسمائها ونقل من فيها الى محل آخر وموقف يفصل فيه فريق السعير الذي كان كافراً او منافقاً في دينه ليتأبد في السعير عن فريق المؤمنين المسلمين من هذه الامة او ممن اتبعوا المرسلين بصدق قبلها وهذا الفريق يحاسب فيه على اعماله وتفصل الحكومات والتظلمات فيلقى كل واحد جزاء عمله ومصيره الخلود في جنات النعيم هذه هي المسئلة الكونية من اولها الى آخرها فدعونا ايها الناس من التطرف في البحث والشطح ودعونا ايها الفلكيون من زوائد التخيلات التي تضيع الوقت فالعلم أجل من أن يكون وهميات والوقت أثمن وأضيق من صرفه في التخيلات والكواكب وإن جاز

بالعقل وبقياس التمثيل ان تكون مع وظائفها التي ذكرناها آهلة بسكان بشرائط عضوية متناسبة مع تلك الاتايين الجهنمية من الثوابت وتقوي على تحمل حرارتها او تحمل برد ما كان بخلافها لكن الظاهر يشهد انها لتلك الوظائف المعلومة وانها مصابيح والمصباح معلوم الوظيفة ولو ان فيها عالما يسكنها كما يتخيلون لكان اجدر بالتعرض لذكره وان يقص شيء من اخباره في الكتب المنزلة والصحف السماوية عظة وذكرى لسكنة هذه الارض وزيادة في تعريفهم بعظمة القدرة الآلهية من الاقتصار على كونها مصابيح ورجوما وهداية لان هذا مشهور ومنظور فالاخبار عما هو غيب عنا فيها اوسع في اخبارها وادل على عظمة القدرة فاذ لا شاهد يترجح به الظن بما ذكروه وتخيلوه وفحوى النصوص ومشاهدة هيئة هذه المجموعة الكونية بشكلها الحاضر الممثلة لبيت له سقف ذو مصابيح تنظر الى عدم ذلك فلتكن الفتوى بهذه الفحوى والله تعالى الاعلم

المسئلة الاولى

قال الله تعالى في القرآن المجيد (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق في السماوات والارض لآيات لقوم يتقون) وقال تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا) وقال تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) وقال تعالى (يسألونك عن الاهلة قل هي

مواقيت للناس والحج) وقال تعالى (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والارض ذلك الدين القيم . الآية) وقال تعالى (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا)

تبارك الله العظيم منزل هذا القرآن وخالق هذه الاكوان وجاعل كل شي منها بمقدار وميزان ان هذه الكواكب المنثورة على ذاك البساط الازرق قد ينظر اليها من حيث الصانع والفاعل مما يسميه المنطق العلة الفاعلية فتشهد بملء الصراحة والجهار بالوحدانية وعظمة القدرة لله تعالى الفاعل المختار وقد ينظر اليها من حيث وظيفتها وما هو كالعلة الغائية فيها فترى انها متحركة دائرة في بروجها بانتظام ذاهبة بحساب آية محافظة على مراكزها بدون ان يحصل بينها في جيئاتها وروحاتها اصطدام وحياة ما في الارض منوطة بالليل والنهار وفصول السنة الاربعة وهذه منوطة بالشمس والقمر وحركتهما المرتبة والمقدرة منازل بها يعرف عدد السنين واجال الاعمال ومواقيت العبادات واشغال الناس ولما سأل معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا (يارسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلىء نورا ثم لايزال ينقص حتى يعود دقيقا كما بدأ ولا يكون على حال واحدة اي كالشمس) كما في رواية اخرى فانزل الله (يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج) اي انا فعلنا ذلك لمصالح دينية ودنيوية ليعلم الناس اوقات حجهم وصومهم وآجال ديونهم وغير ذلك من الاحكام المتعلقة بالاهلة ولهذا خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حالة واحدة وهذا الحساب المترتب على حركات النيرين لا يختلف اصلا سواء قلنا بحركة الارض او بحركة الشمس فان العبرة لاختلاف الليل والنهار والفصول الاربعة وهذا ما نحتاج الى معرفته والمتحرك لا فرق ان يكون هو الشمس حول الارض وهو المذهب القديم كما مر سابقا او الارض حول الشمس وهو المذهب الاقدم وعليه استقر علم المتأخرين اليوم لكن يجب ان نثبت للشمس انها تجري كما جاء في القرآن المجيد سواء على محورها فقط او على شيء اخر ايضاً وقد ذهب

غير واحد من الرياضيين اليوم الى ان الشمس بعالمها الشمسي تدور حول كوكب اخر اختلفوا في تعيينه فقيل تدور حول نجمة الثريا وقيل من نجوم النسر الطائر وقيل من نجوم الجاثي على ركبتيه وقد عرفت حركة الشمس تأييدا لكونها تجري لمستقر لها بالرصد بانه تظهر كلفة على طرف منها وبعد يوم تتقدم هذه الكلفة نحو الطرف المقابل الى ان تبلغه بعد نحو ١٣ يوماً وتختفي وراءه ثم تظهر بعد ١٣ يوماً عند الطرف الذي ظهرت فيه اولا لا لان الكلفة سبحت على وجه الشمس ودارت حولها بل لان الشمس دارت على نفسها دورة كاملة في ٢٦ يوما فظهر كان الكلفة دارت حولها في هذه المدة واستنبطوا ذلك من علامات في المريخ والمشتري وزحل يظهر من انتقالها ان هذه السيارات تدور على نفسها كما تدور الارض على محورها كذا قالوا كما في كتاب بسائط علم الفلك وقالوا الكوكب ثلاثة انواع : ثابت وسيار وتابع فالثابت يعنون به المضيء المشتعل بذاته وكم من شموس من هذا النوع تسبح في هذا الجو وهي اكثر ضوءاً واكبر حجما وابعد مسافة من شمسنا المشهورة باضعاف كثيرة وقد يكون لكل واحدة منها نظام شمسي كما لهذه كما اوضحته لنا المناظير المجسمة

قلنا لا سبيل الى رد ما اثبتته المشاهدة اذا صحت وليس في الدين ما ظاهره ينافيه لكننا لما رأينا ان النصوص الدينية لم يرد في عباراتها الا ذكر هذه الشمس المشهورة لسكنة الارض بابصارهم ولم تذكر على كثرة تكرر ذكرها الا معرفة باداة التعريف الا في موضع واحد فيما يحضرنا في سورة (هل اتى) حتى لا يعتبر في الذهن والخارج وما في نفس الامر سواها وسائر الكواكب لم تذكر الا اجمالا ولم يخصص احدها بالذكر وكثر ما كان المقام في الاستدلالات في الدعاوى بالوحدانية الآلهية وامثالها مقام تعداد العظائم والفخائم من بينات الشواهد من مثل تلك الكائنات الكوكبية ولم نجد الا ذكر هذه المشهورة لكل الناس وبها جاء القسم في القرآن حيث قال (والشمس وضحاها) ولو كان ثم ماهو معتبر شمسا لساغ ان يقال اي الشموس يعني في هذا القسم ولما ظهر سر القسم وهذا غير جائز ورأينا ان تلك

الشموس قد غرقت في اقاصي ذاك البحر الاثيري ولم يظهر لنا منها ما يضيء على ارضنا ويتأثر هذا الكون بحركته وحرارته الا هذه الشمس المشهودة ومثالها القمر الدائر حول الارض والا فالاكتشافات قالت باقمار كثيرة غيره لبقية السيارات فكانت تلك الكواكب العظيمة الغرق في اقاصي الجو كالميتة حق لنا والحالة هذه ان لا نتعرف الا عليها ولا نعتبر سواها ولا ان خصها بالذكر القرآن المجيد كبقية الكتب المنزلة وعلماء المنطق وان اعتبروا كلة الشمس من الكليات حيث عرفوها بانها كوكب نهاري ينسخ وجوده وجود الليل وهذا المفهوم يقبل الاشتراك فيه لكنهم اعتبروها من الكليات التي لم يوجد لها الافراد واحد مع امكان غيره بالامكان العام واما تلك الكواكب العظيمة الضوء الذاتي فلا محظور ان تسمى شموسا تسمية لها باسم هذه غير ان الاقتصار على التعابير الواردة في النصوص هو الاجدر

والسيار هو الكوكب المستفيد الضياء من الكوكب الثابت الدائر حوله كالمشتري وزحل والتابع هو الكوكب الدائر حول السيار المستفيد معه الضياء من الثابت ايضاً ويسمى قمراً فهو دائر حول السيار الدائر حول الشمس والكواكب بجموعها متحركة لا شيء منها بساكن ومعنى الثابت منها ان حركته بطيئة فكأنه ثابت او انه مركز لما دار حوله من السيارات ومستودع للجاذبية لها اصطلاحا فلا ينافي انه يتحرك على محوره وان الشمس تجري لمستقر لها وهذا ما ينبغي ان يقال في هذا المجال اذا وقف الانسان فى بهرة الحلقة واضطرته فضيلة العدل ان يعطي كل ذي حق حقه وان يطعن بشبا قلمه كل من يريد ان يباعد النصوص الدينية عن المسائل الفنية الثابتة او يغضب الدين بجهله في سبيل مسئلة فنية لم تتوتد بدليل ولم تتأكد بقياس فدعنا ايها النبيل من حزب الحسيين الذين تكبو بهم انظارهم دون المعنويات وعلى ابصارهم غشاوة تمنعها من النفاذ اليها ويلحق بهم الذين استأصلوا وقت التحصيل بتعلم بعض اللغات وعلوم الطبيعيات دون العلوم الدينية فلم تكن لهم ممارسة وامعان

في مطالعة نصوصها تكسبهم ذوقا في تفهم مغازيها وفحاويها فامثال هؤلاء يرجع بهم في البحث الى اول الخط بل يتغير شكله ومسلكه حتى يقفوا على ابواب المعنويات ويرشح الذوق الديني على فكرهم ويندى به فيتوسط بين الحسيات والمعنويات ويعطي كلا حقه وينزل كلا في مرتبته ويسلك في ذلك سبيل السداد على ضوء البرهان والا فالخبط يوجب مفاسد الخلط

وهذه الكواكب المنثورة في هذا الجو الشاسع لكثرتها اقتضت معرفة مواقعها للوقوف على كثير من المسائل والقضايا المتعلقة بها ان يفرض في هذه القبة الزرقاء خطوط ورسوم بها يسهل تحصيلها ففرض علماء الهيئة دائرة الاستواء لكونها تقسمها قسمين متساويين شماليا وجنوبيا ودائرة الطول والعرض ودرجات ذلك وفرضوا ايضاً في شمال دائرة الاستواء وجنوبها على بعد ٢٨ ٢٣ دائرتين متوازيتين سمي ما في الشمال منهما السرطان وما في الجنوب مدار الجدي وعلى بعد ٥ ٢٣ من القطبين ٦٦ من خط الاستواء فرضوا مدار القطب الشمالي ومدار القطب الجنوبي كما ترى في [الشكل ٢]

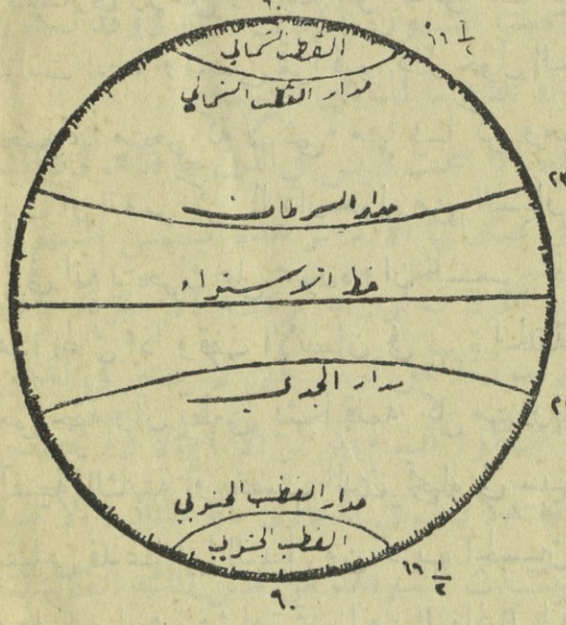

[شكل ٢]

اما مدار السرطان فيقطع الصحراء الكبيرة والبحر الاحمر والجزيرة العربية وغربي الهند وشرقيها وجنوب الصين وجزائر ساندويج ومملكة مكسيكا وجزائر هاما واما مدار الجدي فبمروره من جنوب افريقيا يقطع جزيرة مدغسكر واوستراليا وجنوب امريكا ومدار القطب الشمالي يمر عن شمال البحر الابيض وروسية وسيبريا

وعن اراضي غرونلاند وقطعة كندا وعن بوغاز بهرنك قاطعا شبه جزيرة اسقانديناويا ومدار القطب الجنوبي يحد الاراضي الجنوبية ونتيجة اعتبار هذه المدارات هي معرفة اسباب اختلاف الليل والنهار وحصول الفصول الاربعه والحر والبرد في الصيف والشتاء وبذلك نستطيع ان نعلم عدد السنين والحساب وقد حذا الجغرافيون هذا الحذو في كرة الارض وفرضوا فيها هذه الدوائر المحاذية للدوائر الفلكية حتى ذكروا ان سطح الارض وهو محدبها موازٍ لمقعر السماء فالدوائر العظام التي على سطح الارض موازية للعظام الفلكية وتنقسم كانقسامها على ثلاثماية وستين درجة وحصة الدرجة من الدائرة المتوهمة على الارض ستة وخمسون ميلا وربع ميل على ما تحققه بعض علماء العصر العباسي بامر المأمون بعملين جريا في آن واحد أحدهما في برية سنجار من بلاد ما بين النهرين والثاني الى الشمال من بلد الشام بين تدمر والفرات وقد اثبتها بن يونس من فحول علماء الهيئة الذين نبغوا في ذلك العصر الباهر وذكر احدهما ابو الفداء في جغرافيته المسماة تقويم البلدان

والقمر وان كان الشرع قد اتخذ دورانه حول الارض مداراً للمواقيت وعدد الشهور والسنين لكنه انما يستفيد الضوء من الشمس فيعكسه على الارض فالاساس الشمس ومن ثم ابتدأ بها القرآن المجيد وجعل فيها الضياء الذي عنه يحصل نور القمر ثم اشفعها بالقمر فقال (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا) والله قد امد القمر واعطاه سرعة حركة عن الشمس فلا تدركه بحساب وتقدير لتكون حركاته بانتظام ولايختل فنستطيع معرفة المواقيت والآجال في الاعمال والاشغال فقال (وقدرناه منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) وقال (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) وقال (لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا)

فبهذه الحركات والتقادير يحدث الليل والنهار والفصول الاربعة والسنة مؤلفة من الشهور المؤلفة من الايام المؤلفة من الساعات المؤلفة من الدقائق فالوقت والزمان

في هذه الدار الاولى دار الدنيا عبارة عن هذا قال علماء الهيئة ان الشمس بحركتها الظاهرية تقطع درجات الكرة وهي ٣٦٠° في ٢٤ ساعة فتطلع على قوم فيكون عندهم نهار وتغرب عن قوم فيكون عندهم ليل فهي تقطع في الساعة ١٥° فالساعة خمسة عشر درجة والدرجة اربع دقائق وقولهم في الشمس بحركتها الظاهرية يعنون به ان الحركة في الحقيقة للارض الدائرة حول الشمس وهذه المسئلة منازع فيها كما يعلم مما ذكره العلامة المضد في كتاب المواقف ويظهر ميلانه الى القول بحركة الارض وعليه اجماع علماء الهيئة اليوم وقد استدلوا بأمور نذكر اهمها واقواها

قالوا اولا لايصح دوران الجسم الاكبر حول الاصغر فالعكس هو الطبيعي قلنا ان ما لا يصح هو ما يلزم على تقدير حصوله فساد او محال من المحالات العقلية او مخالفة لناموس من النواميس الطبيعية وما هنا ليس كذلك ولو فرضنا بطيخة كبيرة توزن بارطال اخذت تدور في فضاء بعوضة صغيرة حولها فلا نرى من محذور في العقليات والطبيعيات يمنع ذلك الا في الاستحسانات الفكرية فان الفكر يقنع ان يكون الصغير هو الذي يدور حول الكبير

قالوا ثانيا كل نجم يدور حول نفسه فكذلك الارض

قلنا هذا قياس تمثيلي لا يثبت حكما كما هو معروف في المنطق على ان في ان الارض كوكب نظرا سبقت الاشارة اليه

قالوا ثالثا تغير ظل الارض وقت الخسوف على سطح القمر بهيئة تدل على انها دائرة وظلها تبع لها

قلنا قد يجوز ان ذلك التغير من تأثيرات حركة القمر نفسه اذ ذاك لان المقابل يحدث بحركته تنقلا فيما يتلقاه من مقابله قالوا رابعا ذبذبة البندول فقد وضعوه وضعا بدقة لا يتأثر بمؤثر خارجي عليه فرسم خطوطا تتقاطع وتكون رؤسها اقواسا تطول كلما قرب البندول من القطبين وتقصر كلما قرب من خط الاستواء وفيه يكون على خط مستقيم دائماً

قلنا هذه الذبذبة بعينها تحصل اذا كانت الشمس هي المتحركة حول الارض لان المدار على وضعية الارض من الشمس والخطوط المذكورة انما هي من تأثيرات الحركة وتبدل الوضعية بينهما قطعا سواء كان المتحرك هو الارض او الشمس ففي الوجهين تتبدل الوضعية فترتسم تلك الخطوط المتقاطعة وهذا اقوى ما جاء في استدلالاتهم على حركة الارض حول الشمس

ونحن انما نقصد فيما اوردناه بيان ان المسئلة اضعف من ان نعتبرها ظنية فضلاً عن ان تكون قطعية كما يتوهمه من يتلقفون مثل هذه العلوم في المدارس العصرية من ابنائنا وغيرهم تلقفا بدون ارتكاز على المنطق وانما هي الثقة بالاساتيذ والمعلمين تقنع ضمائرهم بها فيتلقونها كعقيدة اقطع عندهم من بعض عقائدهم الايمانية والمسئلة بالنظر الاسلامي لا ضير فيها ولا شيء فيه ينافيها وعلمنا وجهلنا هل الارض هي التي تدور ام الشمس سيان وانما من الواجب ان يكون علمنا مبنيا على اساسات متينة منطقية

المسئلة الثانية

قالوا للارض حركتان الاولى الحركة اليومية وتسمى المحورية وهي عبارة عن دوران الارض حول نفسها على محورها من المغرب الى المشرق ومدتها اربعة وعشرون ساعة وبها يحصل تعاقب الليل والنهار لان الشمس لا تضيء الا النصف المقابل لها من الارض فقط فيكون عند اهل هذا النصف نهار وعند اهل النصف الآخر المقابل ليل ويتبدل الحال بينهما بالحركة والدوران ويختلف الليل والنهار في الطول والقصر بحسب القرب والبعد عن خط الاستواء الى جهة احد القطبين في جميع نقط الارض الا عند خط الاستواء فهما فيه متساويان دائماً وتقطع الارض بهذه الحركة في الساعة ١٦٦٦ كيلو متر و١٦ من ٢٤ فيكون في الدقيقة ٢٧ كيلو متر و٤٦ من ٦٠ اذ بقسمة

محيطها يعني خط استوائها وهو ٤٠٠٠٠ كيلو متر على ٢٤ ساعة وخارج القسمة على ٦٠ دقيقة يكون الخارج ما ذكرنا

والثانية الحركة السنوية وهي عبارة عن دوران الارض حول الشمس من المغرب الى المشرق ايضاً ومدتها سنة كاملة عبارة عن ٣٦٥ يوما و ٥ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٥٠ ثانية اي ٣٦٥ يوما وربع يوم تقريبا وهذه هي المعبر عنها بالسنة الشمسية ويقابلها السنة القمرية المقدرة بدوران القمر حول الارض اثنتى عشر مرة في كل ثلاثين او تسعة وعشرين يوما يدور حولها مرة وعلى ذلك كانت العرب وهذا المعتبر عند الشرع قال الله تعالى (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) وقال (ويسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس) فاعتبر التوقيت للهلال وبظهوره يبتدىء الشهر وللقمر ثلاث حركات يجريها في آن واحد : الاولى دورانه على محوره لانرى من سطحه الا وجهاً واحداً على الدوام والآخر لانراه ابداً والثانية انتقاله مع الارض حول الشمس كما ترى في [الشكل ٣]

والثالثة دورانه حول الارض في مدة ٢٧ يوما و٨ ساعات تقريبا وبعد ان يتم هذه الدورة في هذه المدة تكون الارض قد انتقلت من مكانها ولكي يعود هو الى وضعه الاول اي بينها وبين الشمس تلزمه مدة يومين و ٤ ساعات تقريبا ومجموع المدتين ٢٩ يوما ونصف تقريباً وهي المعبر عنها بالشهر القمري وحينما يكون القمر بين الشمس والارض يكون هناك اجتماع وهذا هو اجتماع النيرين كما ترى في [الشكل ٣]

وحينما تكون الارض بين الشمس والقمر يكون هناك استقبال وهذا هو استقبال النيرين كما ترى في [الشكل ٣]

واذا كان القمر وسط المسافة بين محل الاجتماع والاستقبال اي بعيدا عن كل منهما بـ ٩٠° كان هناك تربيع فبعد مرور سبعة ايام من اول الشهر يكون قد قطع ربع مداره فيقال انه في التربيع الاول وحينئذ يكون الجزء المضيء نصفه وبعد الاستقبال حيث يكون بدرا بسبعة ايام يكون قد قطع ثلاثة ارباع مداره فيقال انه في التربيع

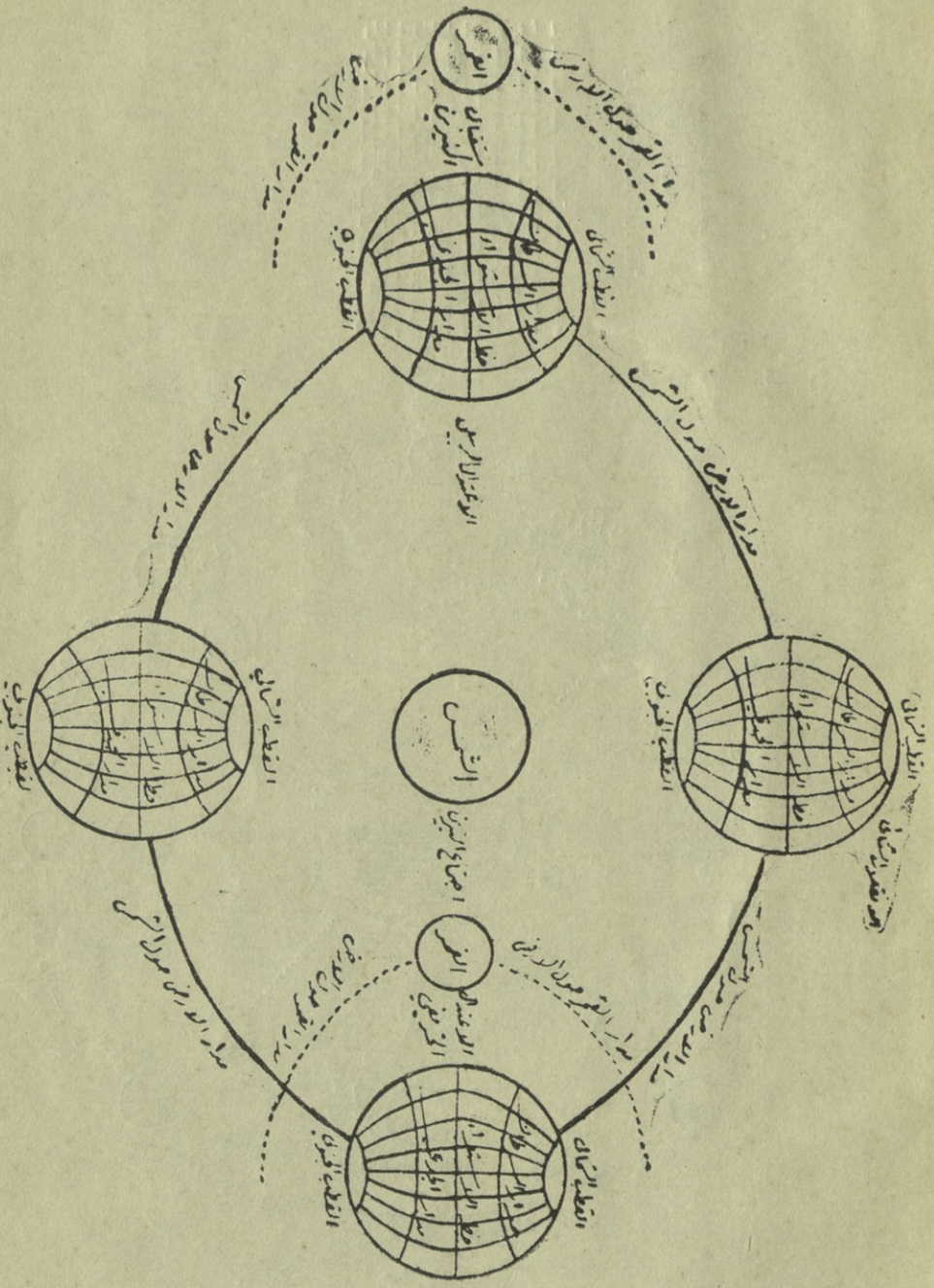

[شكل ٣]

الاخير وحينئذ يكون جزؤه المتمم نصفه الى ان ينتهي بالمحاق كما ترى في الشكل (٤)

ومدار القمر مائل عن منطقة البروج خمس درجات ويتأخر طلوعه كل يوم عن مطلعه في الذي قبله ٥١ دقيقة

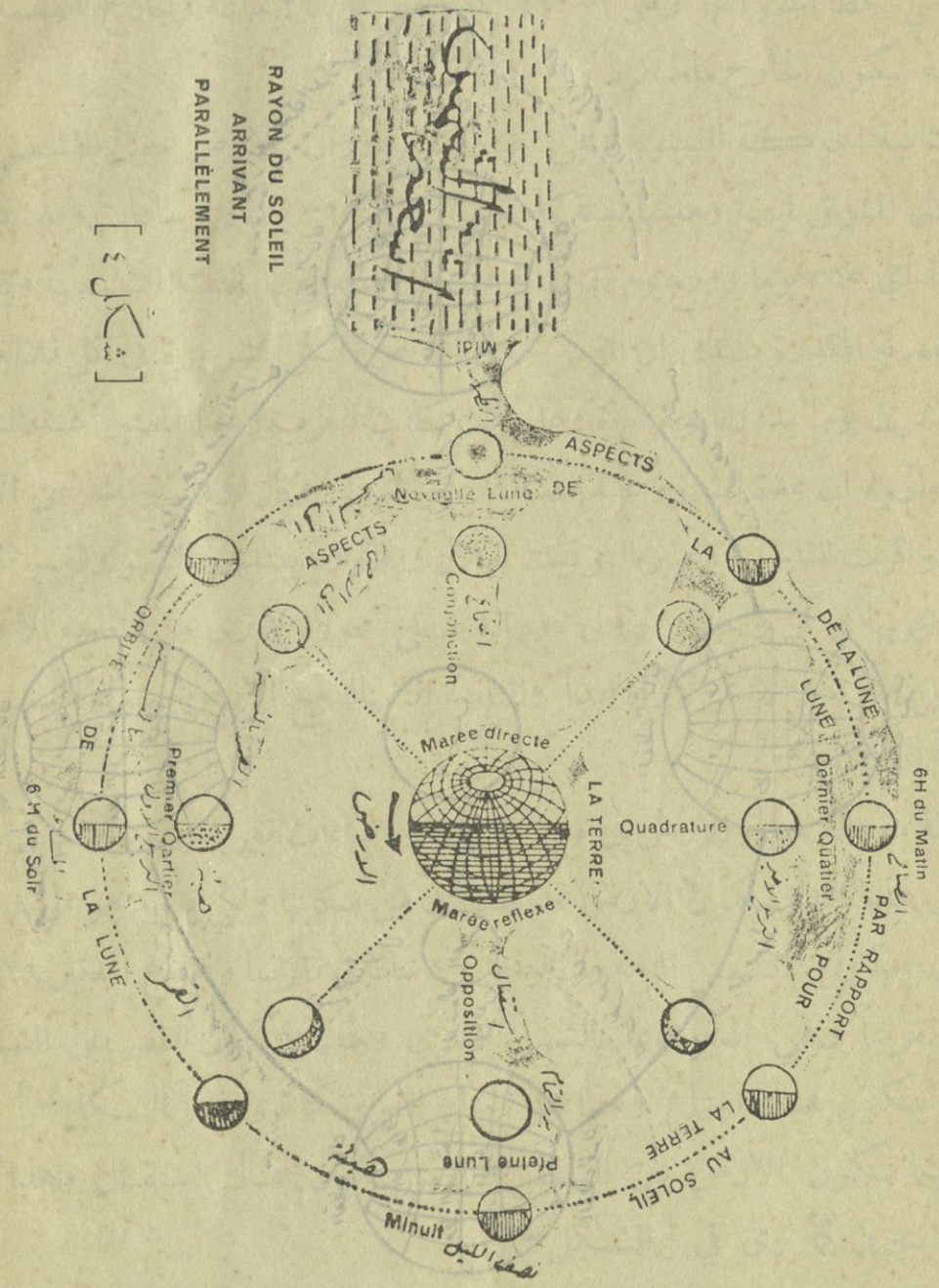

[شكل ٤]

واذا توسطت الارض بينه وبين الشمس في حالة استقباله حجبت عنه ضوءها فيحدث الخسوف وهو يقع في منتصف الشهور العربية واذا توسط هو بين الشمس والارض في حالة الاجتماع ستر عنها ضوءها فيحدث الكسوف وهو يقع في أوائل

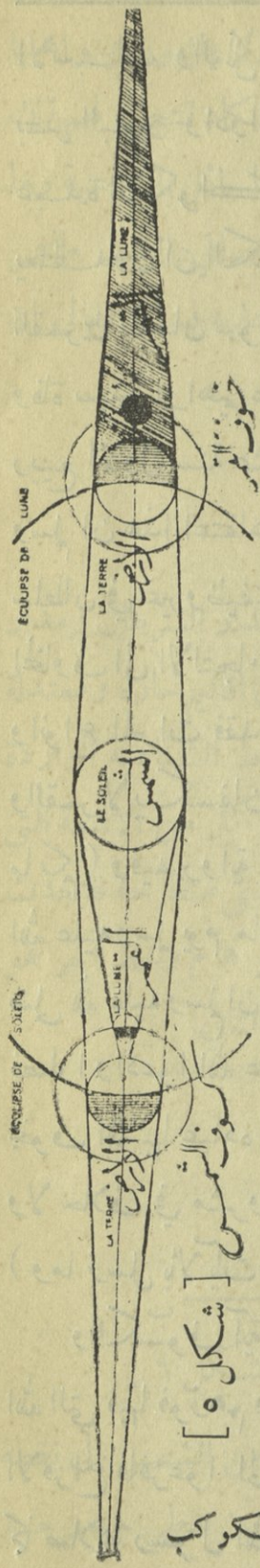

خسوف القمر
الارض
الشمس
القمر
خسوف الشمس [شكل ٥]

الشهور العربية كما ترى في [الشكل ٥] واذ لم يكن مدار الارض ومدار القمر على سطح واحد بل يميل احدهما عن الآخر مقدار خمس درجات نعني مسافة عشرين دقيقة فلا يستشكل عدم مشاهدة ذلك في كل شهر مع وقوع الخسوف في كل استقبال والكسوف في كل اجتماع وفي كل شهر لابد من استقبال واجتماع على ان المدارين يتقاطعان بالنقطتين المدعوتين رأسا وذنبا والقمر عند درجة الاجتماع قد يكون احيانا واقعا فوق الخط الذي يوصل الارض بالشمس واحيانا يكون تحته فعندئذ لا ينحجب شعاع الشمس عنه ولذلك مالم يكن القمر زمان الاجتماع او الاستقبال في احدى نقطتي الرأس والذنب او قربهما لا يحصل كسوف ولا خسوف ولهذا بقية مباحث تطلب من محالها ومن المقرر ان كلا من الارض والشمس والقمر لم يضع نفسه هذا الموضع وينتظم بحركته هذا الانتظام بل الله تعالى القدير الخلاق العظيم رب العالمين هو الذى رتبها هذا الترتيب وربطها بحركتها في منطقة فلكها هذا الربط بحسب ما جعل في الكون من المصلحة لحياته وانتظام شؤونه وارصد بهذا الدوران في الحركة امرا وهو حالة الكسوف والخسوف ينذر الانسان ويحدث فيه انتباها عظيما على عظمة القدرة الآلهية وانه اذا اراد الله تعالى منع عنا الاضواء التي بها الحياة والا فبقدرته تعالى التي رتب بها حركات النيرات ان لا يجعل القمر ينساق احيانا بحركته الى احدى نقطتي الرأس والذنب في وقت الاجتماع او الاستقبال حتى لا يقع الكسوف والخسوف فمن وراء

الاسباب والعلل الظاهرية مغازي وروح معنوية لا ينفذ اليها ويراها الا بصر البصير وادراك اللبيب ومن ثم لما كان في العرب شيء من اعتقادات الصابئة عبدة الكواكب وان لها تأثيراً في هذا الكون حتى انهم كانوا في الجاهلية يعتقدون ان الكسوف يوجب حدوث تغير في الارض من موت او ضرر فكأن القمرين يلبسان سواد الحداد لموت الاعاظم ومن ذلك ان الشمس لما انكسفت يوم وفاة سيدنا ابراهيم عليه السلام ابن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة عشر ودفن في البقيع قالوا كسفت لموته فاعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا اعتقاد باطل وان الشمس والقمر خلقان مسخران لله عز وجل ليس لهما سلطان في غير وظيفتهما ولا قدرة الدفع عن انفسهما ومن شأن الشارع ان يرشدهم عند المخاوف الى الالتجاء الى الله بما يتقربون به اليه من الصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة وانواع المبرات فقد جاء في صحيح البخاري انه عليه الصلاة والسلام قال (ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رأيتموها فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم) وفيه برواية المغيرة بن شعبة قال (كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ابراهيم فقال الناس كسفت الشمس لموت ابراهيم فقال النبي صلى لله عليه وسلم ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا الله عز وجل) وجاء في بعض الروايات انه قال (ان هذه الآية تخويف يخوف الله بها عباده فاذا رأيتم ذلك فصلوا كأخف صلاة صليتموها من المكتوبة) ولا خلاف في مشروعية صلاة الكسوف والخسوف وقد جاء في القرآن المجيد (وما نرسل بالآيات الا تخويفا)

والكسوف آية مخوفة يخوف الله بها عباده ليتركوا المعاصي ويرجعوا الى طاعة الله التي فيها فوزهم وجاء في السنة قوله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم شيئاً من هذه الافزاع فافزعوا الى الصلاة وقد اجتمعت الامة عليها من غير انكار احد وصلوها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهذا شرح لا يفقهه الذين هم غير مؤتمرين بأوامر الشريعة ولا ينتهون بنواهيها بل رانت القصورات والتجاوزات الدينية على قلوبهم فلا يكاد تتجلى لهم تلك المقاصد والاغراض الشرعية السامية حتى يدركوا اسرار تلك المسائل الشرعية وما فيهم من الاسلامية الا التابعية الظاهرية بالاسم اليها وانما يفهم ذلك صافي القلب طاهر النفس صحيح التربية الاسلامية غير الماطخة بشيء تمقته وتسخط عليه نسئله تعالى ان يصلحنا ويوفقنا لما فيه رضاه

المسئلة الثالثة

سبق بيان ان للكرة اربع مدارات القطب الشمالي وبعده مدار السرطان ومدار القطب الجنوبي وبعده مدار الجدي فهذه المدارات تقسم الكرة الى اقاليم حارة ومعتدلة ومتجمدة والاصل في ذلك ان من القواعد الحكمية ان الخطوط الشعاعية الواردة عموديا حرارتها اشد فتكسب الجسم الذي سقطت عليه حرارة اكثر من الاشعة التي تسقط مائلة لان المائلة تنعكس الى الجو بخلاف العمودية فانها تبقى منطرحة فتحدث حراً فلو فرضنا سطحا هو ا ب [شكل ٦] وعليه خط شعاعي هو هَ م وخط آخر هو هـ م وارد عليه مائلا فالاول يطرح على السطح حرارة اكثر من الثاني

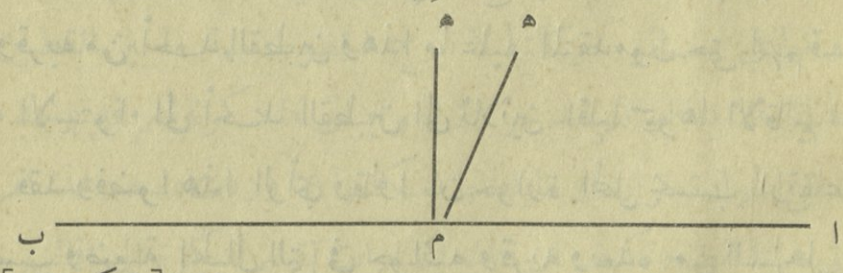

[شكل ٦]

ففي [الشكل ٧] نظراً لكون الخطوط الشعاعية الواردة من الشمس الى نقطة ب عمودية والخطوط الشعاعية الواردة الى قسم الارض الذي هو بين خطي حـ ء وحَ ءَ

قريبة من العمود تكون هذه القطعة من الارض حارة جداً ولذا يعبر عما هو واقع بين دائرتي حـ ء وحَ ءَ من الارض بالمنطقة الحارة والدائرة الاولى هي مدار السرطان والثانية مدار الجدي وما بين خطي حَ ءَ وهَ مَ وبين خطي حـ ء و هـ م نظراً لورود الخطوط الشعاعية عليهما مائلة فالحرارة هنا بالنسبة لتلك خفيفة ولذا يقال لهذين الموقعين المنطقتان المعتدلتان والخط الاول هو مدار القطب الشمالي والثاني مدار القطب الجنوبي وما بين القطب الشمالي وخط مَ هَ والقطب الجنوبي وخط م هـ يكثر البرد جداً ويسمى المنطقتان المنجمدتان لورود الخطوط الشعاعية فيه مائلة جداً

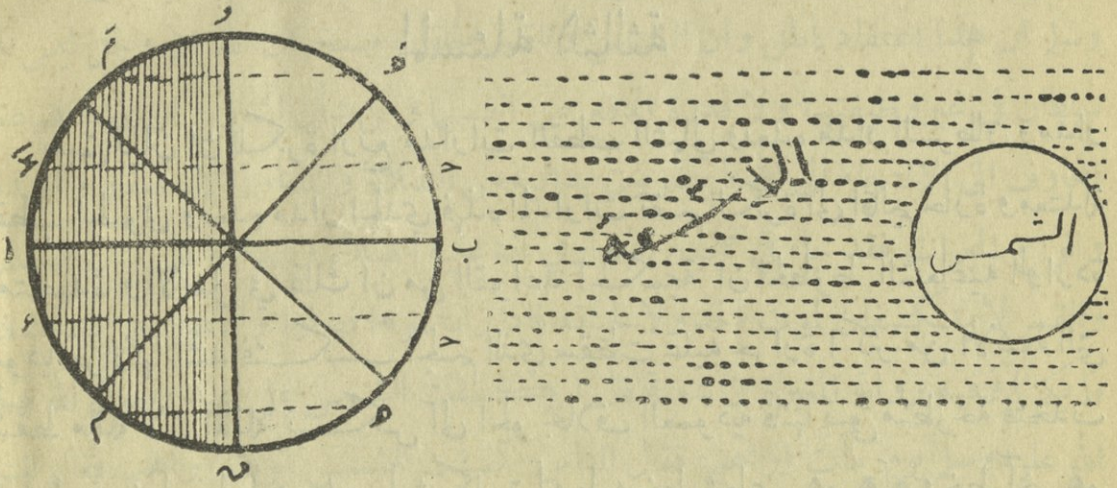

[شكل ٧]

فيكون تعيين حرارة اي محل على سطح الكرة بحسب ابتعاده عن خط الاستواء وقربه من أحد القطبين وهذا ما عليه المتقدمون حتى انهم قسموا الكرة من خط الاستواء الى أحد القطبين الى ثلاثين اقليما سموها الاقاليم الحارة واما المتاخرون فقد رفضوا هذا الرأي وقالوا ان حرارة المحل بحسب ارتفاعه عن سطح البحر وبحسب وضعية الجبال التي في جوانبه وقربه وبعده من الساحل وتركيبات ترابه الكيماوية وكثرة نفوسه ومعامله الصناعية فبمثل هذه الاسباب يتبدل مزاج البلد ويتغير وقد وجدت محلات تحت خط الاستواء لطيفة ومعتدلة كما وجدت بلاد في المنطقة المعتدلة غير قابلة السكنى قلت ما تقدم ذكره من القاعدة الطبيعية التي لا

يمكن ان يتخلف مقتضاها بشهادة الحس لا ينتهض معه وجه على رفضه طبيعياً غير انه لا ينكر على المتأخرين انه متى وجدت أسباب تعاكس تلك القاعدة على معنى انها تظهر لنا ان القاعدة مشروطة بعدم هذه الأسباب لتنفيذ مقتضاها يتبدل الحكم ويتبع الاسباب المعاكسة فان الضياء كالهواء والماء اذا اصطدم بما يمنعه من الانبساط والتمدد ومن أخذه مجراه انعكس بزاوية تضاد وجهته الا ترى ان الهوء الحامل للصوت انما يدخل الاذن بسبب اصطدامه بدرفة الاذن والا لرجع من حيث أتى فينعكس فيحدث زاوية على خطها يدخل الاذن والضياء اذا اصطدم بجبال تساعد وضعيتها الطبيعية على ما ذكرناه من الانعكاس تنعكس حرارته الى الفضاء ومن ثم قد يلاقي الانسان من حدة الحرارة في شواهق الجبال ما لا يراه في الساحل فالقاعدة التي ذكرناها هي الاساس الذي يرتكز عليه في ذلك قطعياً الا ترى اذا اخذت بيدك زجاجة ثخينة بحيث يعوق ثخنها الحرارة الواردة عليها من النفوذ منها وقابلت بها الشمس مائلة وبيدك الاخرى شيء كسيكارة او خرقة تقابل بها الزجاجة عمودياً كيف ان الحرارة تحرقها فطالما لا يمكن ان ننكر بقولهم ان حرارة الارض من الشمس وان الخطوط الشعاعية اذا وردت عليها عمودية اكتسبت حرارة زائدة فيصبح الهواء حاراً وطالما نقول ان الارض دائرة حول الشمس لا تتجاوز بميلانها مداري السرطان والجدي بحيث إن تلك الخطوط هي دائماً مستقيمة او مائلة على المواقع التي بينها وانها في سائر حركاتها لا تبرح الخطوط جهة ما بين القطبين وبين هذين المدارين مائلة فلا بد ان تستند حرارة الهواء الى ما ذكرنا نعم قد يوجد من الاسباب ما يضيف على الحرارة حرارة او مايلطفها بعكسها عما وردت عليه وهذا امر محسوس لا ينكر والى ههنا اتضح كيف ان تلك المدارات تقسم الكرة الى اقاليم حارة ومعتدلة ومنجمدة ومن المقرر ان محور الارض ليس عمودياً على مستوى مدارها السنوي بل مائلاً عليه بـ ٢٨° ٢٣' تقريباً وهذا المحور ينتقل مع الارض بالتوازي لنفسه وهو ثابت الاتجاه اي متجه دائماً نحو نقطة واحدة في السماء وهي النجمة القطبية فحينئذ تارة

يكون طرفه الشمالي وهو القطب الشمالي مائلاً نحو الشمس وتارة طرفه الجنوبي فحينما يكون القطب الشمالي هو المتجه نحو الشمس يكون سقوط الاشعة الشمسية في نصف الكرة الشمالى عموديا اكثر منه في النصف الجنوبي فتكون فيه الحرارة أكثر ويحصل فيه الصيف وعند اهل النصف الجنوبي يكون وقتئذ شتاء وبعد ان تقطع الارض نصف مدارها اي بعد ستة أشهر تأخذ وضعاً آخر مقابلاً لوضعها الاول بمعنى ان القطب الجنوبي هو الذي يكون متجها نحو الشمس فيكون في هذه الحالة الامر بالعكس اي الصيف عند أهل النصف الجنوبي والشتاء عند أهل النصف الشمالي ومن عنده صيف طال نهاره وقصر ليله وبالعكس شتاؤه وكلاهما يطول ويقصر بحسب القرب من القطب والبعد عنه شماليا وجنوبيا وقد ينعدمان فيبقى أحدهما حتى تتغير وضعية الكرة بحركتها الدورانية وبعد ان تقطع الارض النصف الثاني من مدارها اي بعد ستة اشهر تعود الى وضعها الاول وهكذا فحينما تكون الارض آخذة بالانقلاب الى احد هذين الوضعين يقال انها في أحد الانقلابين فتكون بالنسبة لاهل النصف الشمالي في الانقلاب الصيفي في الوضع الاول وفي الانقلاب الشتوي في الوضع الثاني ولكن اثناء انتقالها من انقلاب الى آخر تمر بنقطة من المدار بعد ثلاثة أشهر أي بعد ان تقطع ربع مدارها يكون فيها محورها موجوداً تماماً في المستوى الفاصل بين النصف المضيء منها والمظلم أي ان أحد القطبين لم يكن متجها نحو الشمس فيكون الليل مساويا للنهار في جميع نقط الارض وعندها يقال ان الارض في أحد الاعتدالين الربيعي والخريفي ففي الاول عند الانقلاب من الشتوي الى الصيفي وفي الثانى عند منقلبها من الصيفي الى الشتوي والخلاصة انه يحصل من حركة الشمس الظاهرية الفصول الاربعة وقد قسمت منطقة البروج الى اثني عشر قسماً ينقسم الى ثلاثين درجة وهذه الكواكب بمبارحتها النصف الجنوبي من الكرة ودخولها في نصفها الشمالي تفتتح السنة الشمسيه نعني بمجرد دخولها في برج الحمل وحينئذ يبتدىء الربيع الذي به يحيي الكون ويستمر تسلطن هذا الفصل مدة اجتياز البرج

المذكور وبرج الثور والجوزاء وهي ٩٢ يوماً و ٢١ ساعة و ١٦ دقيقة ثم تدخل الشمس على التعاقب في السرطان والاسد والسنبلة وهذه مدة الصيف وهي ٩٣ يوماً و ١٣ ساعة و ٥٣ دقيقة فينبعث الينا منها مدة اقامتها في تلك البروج اشعة شديدة الحرارة ثم بعد بلوغها هذا الارتفاع تنزل جهة النصف الجنوبي فتجتاز على التوالي الميزان والعقرب والقوس فيحصل فصل الخريف ومدته ٨٩ يوماً و١٧ ساعة و ٨ دقائق ثم تدخل الشتاء فتكون الشمس حينئذ في ابعد نقطة عنا ولا ينبعث الينا منها الا اشعة مائلة فتقطع بروجها الثلاثة وهي الجدي والدلو والحوت في مدة ٨٩ يوماً وساعة و٣١ دقيقة ثم ترجع لمحلها الاول وتستأنف العمل والحساب كما ترى في [الشكل ٨] وقد حفظت النسبة بين السنين القمرية والسنين الشمسية ولعله بهذا الاعتبار قال تعالى (وازدادوا تسعا) بعد قوله (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين) وقد قالوا كل مائة سنة لها ثلاث سنين تحصيلا للفرق بين القمرية والشمسية

ولما كانت الشمس لا تسير كل يوم في دائرة وسط البروج الا درجة واحدة ولا تقطع منه الا درجة واحدة احتيج الى وضع درجة زائدة لها كل سنة حتى يمكن ان ترجع وتصل الى المحل الذي انتقلت منه نعني خط نصف النهار الذي ابتدأت السير منه وهذا هو السبب في كون السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم تقريباً لان الارض حين بعدها الاقرب تعوق الشمس بعض شيء عن الظهور في خط نصف النهار فيكون اليوم حينئذ ازيد من اربع وعشرين ساعة واذا كانت الارض في البعد الابعد فلا يبلغ اربعا وعشرين ساعة وقد سمى علماء الهيئة الساعات التي تحسب بالشمس الزمن المختلف والزمن الحقيقي واما الساعات التي تؤخذ من ساعة صحيحة مضبوطة فتسمى الزمن الاوسط وهذان الزمانان ليسا متفقين دائماً لان ايام الشمس ليست مستوية الزمن فقد يكون الاختلاف ربع ساعة وفي الشتاء تكون ساعات الزمن الاوسط اطول من ساعات المختلف وعكس ذلك يقع في الصيف واذ كان يفضل كل سنة ست ساعات ففي اربع سنين يتجمع يوم فتكون السنة الرابعة ثلاثمائة

وستة وستين يوماً و كسوراً وتسمى حينئذ سنة كبيسة وتعرف عن البسيطة بقسمة عدد السنة على اربعة فان انقسم عليها من غير كسر كانت كبيسة

المسئلة الرابعة

قلنا فيما سبق ان كثيراً من المسائل الفلكية عرفت بالطرق العلمية والجهلة يتحاشون القول بها استناداً على ان العلم بها علم بالغيب ولذلك مشينا فيها في صف الفنيين تنبيهاً لاولئك الغاشمين على ان الاسلامية بنت برهان ودليل نصيرة العلم تؤيد كل مثبتات العقل وكل ما يقوله العلم الصحيح ولا ترفض الا ما يرفضه الدليل من عقل او نقل كما مشينا على الفنيين في غير صفهم على ضوء البرهان في المسائل التي يمجها النقل ولم يؤيدها برهان ناهض ألست ترى كيف شجعنا البرهان على خرق الاجماع الفني الهائل من جماهير العلماء والمتعلمين العصريين في ابطال الرأي بتولد الارض من الشمس واعتبارها اقدم من الشمس على عكس ما يقولون ورفعنا صوتنا بذلك على مسمع من كل الناس ومن الجهل رد كل الفنيات ومن الخطأ قبول كل الفنيات فكن ابن برهان ايها الانسان واتبعه يهدك سبيل الحقائق طالما سمعت الاستغراب من الادعاء بمعرفة الادوار الجيولوجية وعمر الارض وان ذلك من علم الغيب ولذلك اردت اذكر نبذة في ذلك مما قاله علماء الفن كمثال من الطرق العلمية في اثبات امثال هذه المسائل الفنية

قالوا في فن طبقات الارض « الجيولوجي » في تعيين الادوار الجيولوجية ومعرفة القديم والحديث من طبقاتها ليس في اليد من واسطة الا النظر الى حال المواد التي حصلت منها قشرة الارض واكسبتها شكلها الحاضر وبذلك عرفنا انها لم تتكون في زمان واحد وان كل طبقة ترسبت وتشكلت في وقت مخصوص معين فسهل استخراج سنها النسبي يعني الحادثة والمترسبة منها قبل الاخرى من وضعية المواد التي شكلت

دوران الارض حول الشمس وحصول الفصول الاربعة

مع منازل الشمس الاثنى عشرة من منطقة البروج

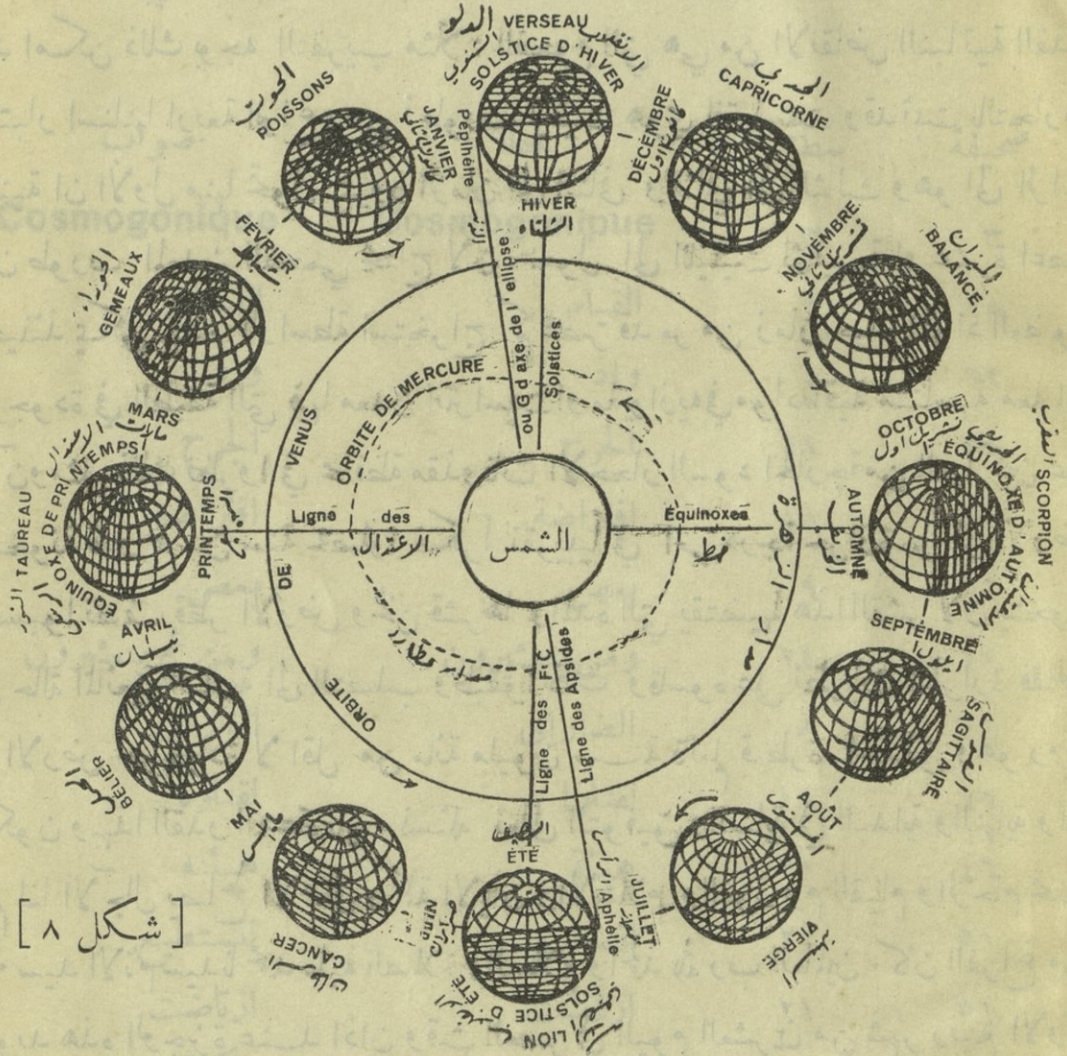

[شكل ٨]

دقيقة	ساعة	يوم	بروج
١٦	٢١	٩٢	في الربيع الحمل ، الثور ، الجوزاء
٥٣	١٣	٩٣	في الصيف السرطان ، الاسد ، السنبلة
٨	١٧	٨٩	في الخريف الميزان ، العقرب ، القوس
٣١	١	٨٩	في الشتاء الجدي ، الدلو ، الحوت
٤٨	٥	٣٦٥	

الاعتدال الربيعي في ٢١ مارت
الانقلاب الصيفي في ٢٢ حزيران
الاعتدال الخريفي في ٢١ ايلول
الانقلاب الشتوي في ٢٢ كانون ١

قشرة الارض ونسبة بعضها الى بعض اذ من البديهي ان تشكل طبقات الصخور الرسوبية السفلية هو قبل طبقاتها العلوية فبمثل هذه الوسائط تعين سن الطبقات الارضية النسبي واذا لم يمكن تعيين ما مر من السنين من حدوث الطبقة الفلانية مثلا فقد امكن ذلك بوجه التقريب مثلا : الفحوم التي هي من الانقاض النباتية القديمة باعتبار اسنانها اربعة انواع وهي : طورب لينيت هوي انتراسيت وقد ثبت بالتجارب الفنية ان الاول منها تحول بمرور الزمان الى الثاني والثاني الى الثالث وهو الى الرابع وان طورب المعدن الفحمي يحتاج لان يتحول الى اللينيت لثمانية او عشرة اعصر وحينئذ يمكن بهذه الواسطة استخراج كم عصر قد مر من زمان حياة المواد العضوية الموجودة في الطبقة التي فيها معدن انتراسيت او ما يوازيه في مواد باقية متناسبة معه الى الآن ومثل ذلك نظروا في محافظة مقذوفات الاحجار السود الخارجة من البراكين على السخونة قدر خمسين سنة فحصلوا فكراً تقريبياً في امر درجة حرارة مركز الارض وحسبوا نصف قطر الارض وثخن قشرها والمدة التي يقتضيها هذا القشر لان يتحول من حالة المائعية النارية الى التصلب وطبقوا ذلك وقاسوه على نظريات الحرارة فقالوا ان الارض موجودة لا اقل من مائة مليون سنة فالعلم قطرة الحقائق وهو روح الكون وبهذا القدر الكفاية . نسئله تعالى التوفيق والعناية في البداية والنهاية وان يختم لنا الآجال بصالح الاعمال وكلمة الايمان والاسلام والفوز يوم القيام والزحام تحت لواء سيد الانام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين . كان الفراغ من تسويد هذه الوجيزة عند اذان وقت العصر في اليوم العشرين من شهر ربيع الاول سنة الف وثلاثمائة واربعة واربعين من الهجرة الشريفة بقلم مؤلفها الفقير عبد المجيد بن محمود بن احمد بن عبد القادر ابي الهدى المغربي من طرابلس الشام عامله الله تعالى بالاحسان والاكرام وغفر له ولوالديه وللمسلمين آمين

تم الكتاب

صحيفة الخطأ والصواب

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٣	٣	Cosmogonipue	Cosmogonique
١٨	٣	القياس	السياق
٢٢	٤	واذ	واذا
٢٣	١١	الحرح	الجرح
٢٥	١٨	افتراضة	افتراضه
٢٦	٩	بعص	بعض
٤٢	١٤	ومن يتعثيرون	ومن ثم يتعثيرون
٤٦	٨	الضارابي	الفارابي
٤٦	١٨	لقتلوا	لقتلوه
٤٦	٢٠	هيئة	هيئه
٥١	٢٠	لنسطيع	لنستطيع
٥١	٢١	ارناضت	ارتاضت
٨١	٥	ولا ان	وكان

المغربى ،عبد المجيد
رسالة الكوكب الشرقى
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01001322

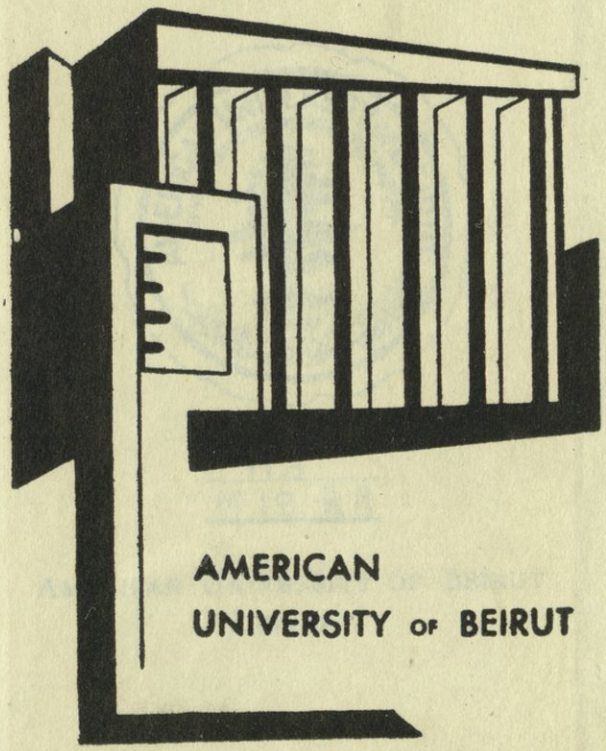

113
M19kA
C.1